# الفصل 16

لكي تنتهي مهمة (بنزو) يجب على الورم السرطاني اكتساب خاصيتين جديدتين: التنقل، والحصول على التغذية.

فالورم لم ينجز إلى الآن إلا القليل، إذ تمكن من الغلاف الخارجي فقط من الخلايا، ففي المرحلة القادمة أي مرحلة التقدم سوف يهاجم الجبس، ثم البنية التحتية والقواطع ثم الممرات الفنية، أما الجبس فهو الغشاء القاعدي، وسوف تتمكن بنات الخلية من إنجاز هذا العمل، سنة 1998م، إذ كانت المليون خلية تتمركز في شعب الرئتين، فمنذ ستة أشهر قامت بعض الخلايا بالتحرر وإفراز أنزيمات قادرة على تدمير الغشاء القاعدي وخلايا ألياف العضلات، وحتى الخلايا المسؤولة عن مرونة الأعضاء، ألا وهي الفيبروبلاست، وهكذا تصل بنات الخلية الأم إلى الغلاف القاعدي بعد اختراقها للجبس، دور البلوك والإسمنت قادم، فالسرطان أصبح الآن لا يُقاوم، حتى نتمكن من فهم عمل الخلية السرطانية التي تنتج أنزيمات لدودة تمكنها من التسلل إلى الدم والتنقل بحرية في داخل الجسم؛ حتى تصل إلى الكبد وتتمركز به.

إن (أنت) أصبح ينتج خلايا سرطانية في الرئتين لتصديرها إلى الكبد، وعند شعور الخلية بالجوع تلجأ إلى الدم؛ لتتغذى وتنتعش، فيقوم الورم بإفراز مواد مدمرة تفتك بكل ما يعترض سبيلها لإنتاج ما يكفيها من المواد الغذائية اللازمة لإنعاشها،

وتقوم الخلايا السرطانية بإنجاز عملها بالتهرب، وذلك بسلوك بعض المعابر السهلة، وإنشاء معابر جديدة وتدمير الممرات الطبيعية، وهكذا تكون قد ضمنت تدمير قواعد البيت الذي حلّت به، فيمكن للورم التقدم.

# الفصل 17

جوركا من عائلة عسكرية نيبالية ومن نخبتها أيضاً، لا يتسم بالكثير من العطف، طلب منه آد باتريس التخلص من عميلين سابقين، أحدهما طبيب والآخر مسؤول بصفة مؤقتة عن الأرشيف.

سبق للطبيب أن قبل العمل مع بروموريتيم لكسب الكثير من المال، وقام في أحد الأيام باقتراح يطلب فيه من الشركة إعداد برامج تحِدّ من مضرّات التّدخين، لكن هذا الهدف ليس من أهداف آد باتريس وشركائه؛ لأن المحامين يقولون: إذا تم قبول هذا الاقتراح وإنجازه، فهذا يعني أن السّجائر الموزعة بالسّوق مضرة؛ لهذا السبب تم طرد الدكتور وبسرعة، وبالرغم من أنه ملتزم بالصمت، فقد أصبح يسرب معلومات خاصة بشركات تصنيع السّجائر أمام الوسائل السمعية والبصرية في كل الأماكن، معلومات قليلة، لكنها في غاية الخطورة؛ لذا تم تكليف جوركا بالتخلص منه؛ حتى لا يشهد أمام العدالة.

أما العميل الثاني، فهو حقير ومخبول تم توظيفه للقيام بترتيب الأرشيف، مقابل تسعة دولارات في الساعة، ولكي يقوم بهذه العملية يجب عليه قراءة الأوراق قبل ترتيبها، فتفنن في قراءتها إلى غاية المتعة، إذ قام بإجراء الترتيب وفقاً لثلاثة عوامل: العامل الأول المعلومات التي تخص السرطان، ثم المعلومات الخاصة بنسبة النيكوتين (القطران) وأخيراً المعلومات الخاصة بالدعاية الخاصة باجتذاب

المراهقين، عند اطلاعه على هذه المعلومات علم أنه معرض للخطر مثل أي زبون من زبائن الشركة؛ لأنه يدخن، ويدخن السّجائر نفسها التي تنتجها الشركة التي يعمل بها، فسرعان ما خسرت الشركة أحد زبائنها المخلصين، بعد أن دوّن معلومات مهمة وقام بتصوير 4000 صفحة سرية ومهمة للغاية واحتفظ بها في بيته، وأصيب في هذه الأثناء بذبحة صدرية فعدها المؤشر الأول لبداية متاعبه؛ لذا قرر تسريب المعلومات التي يحتفظ بها، ويبثها عبر الإنترنت، فغضب آد باتريس غضباً شديداً.

بخصوص الدكتور، فلقد تم تهديده أولاً ثم تخويفه برفع قضية ضده، وفيما بعد تمّ تهديد زوجته وأطفاله، وبعد ذلك قام جوركا بتلفيق ملف يحط من قيمته وإمكانياته كدكتور، بل أكثر من ذلك فقد زرع الرعب لدى زبائنه عندما أخطرهم بأن إمكانياته العقلية محدودة، ومن جهة أخرى قام بالضغط على الصحافة لإجبار الصحفيين على عدم الإصغاء إلى خرافاته.

أما العميل الثاني، فعقابه بدأ بالفعل، وقد حصلت الذبحة الصدرية الأولى في الوقت المناسب، وإذا لم تحصل الثانية في أقرب وقت فسوف يتم اتخاذ إجراءات أخرى، ووسائل مضمونة.

بما أنه زميل لبوادر، فمهمة جوركا الأساسية هي تقديم اقتراحات حول التخلص من بعض الأفراد أو المجموعات للحفاظ على سمعة الشركة المصنعة للسجائر، باعتبارها أفضل آلة لكسب المال على الإطلاق، ودوره لا يقتصر على ذلك فحسب، بل يساعد أنتوكس لابتكار كل الحيل الكفيلة بتنمية المبيعات وتطويرها، كل عمله يتم وفقاً لفلسفة مكيافيل: الحصول على الولاء والطاعة والاستسلام، والتجرد الكامل من كل إحساس وتقبل الفساد بكل أشكاله واحتقار كل شخص ضعيف المردود، والتمرد على السلطة الحاكمة بما في ذلك السلطة الدينية، كل شيء له ثمن، وكل شيء للبيع، حتى آدباتريس لا يستطيع زيادة شيء على هذا.

للعلم، فإن الشركة المصنعة للسجائر منحت جوركا صلاحيات ووسائل تضمن له النجاح الكامل في مهامه، فهناك 200 مكتب محاماة تحت تصرفه للدفاع عن قضايا

لا يحلمون بها، بالإضافة إلى وكالة علاقات عامة ولوبي له ميزانية تقدر بـ20 مليون دولار ومتعاونين تم اختيارهم بعناية فائقة، وحوالي 120 يعملون في العلاقات العامة، بواسطة فلسفة جوركا الخاصة، بالإضافة إلى كل الوسائل السالفة الذكر يقوم جوركا بعمل جبار وفعال، بموجب أي طلب يضع كل إمكانياته ضد أي متربص بالشركة، سواء أكان من الوزن الخفيف، أم المتوسط أم الثقيل، وقد كان ضد التفرقة والعنصرية، وضد جمعية الدفاع عن المدخّنين، وضد الصحافة والأطباء، أما المحامون والشرطة، فكان متعاوناً معهم.

وكان سلاحه التهديد والرشوة وأشياء أخرى لا حصر لها، بالرغم من أنه عانى من إرهاق مستمر، فلا يدخن ولا يحاول أن يدخن، وعندما قامت إحدى القنوات التلفازية بإجراء تحقيق حول (حقيقة) النيكوتين تمّ إيقافها أمام العدالة بتهمة (الذّم)، وبالرغم من أن هذه القناة كانت على حق وتأكدت من كسب القضية، إلا أنها انسحبت؛ خوفاً من تكاليف القضية التي سوف ترتقع إلى المليارات، واغتنم جوركا الفرصة لإجبار القناة على تكذيب الخبر، فبدت القناة كأنها بطة بشعة، إذ قامت بنشر خبر كاذب، وهكذا انقلبت القضية على المدّعي، فالشركة أصبحت تطالب والقناة هي المطلوب، واضطرت قنوات أخرى للانسحاب من ميدان القتال، وانتشر الخبر حول العالم كله، وقد كان جوركا يتعامل مع وسائل الإعلام بلطف وحذر، ويحاول إغراء الإعلاميين للترويج للتّدخين أولاً ولمنتجات المجموعة التي يعمل معها.

لذا اختفت الكثير من المقالات المحاربة للسجائر، وأصبحت نادرة، أما المتبقي من المحاربين، فأصبحوا واقعيين؛ لأنهم قبل كتابة أي شيء يستشيرون جوركا وبوادر.

من حين إلى آخر يقوم أحد رؤساء التحرير الذي يعتقد أنه أذكى من غيره، أو أنه حرّ في تصرفه بكتابة تحقيق يجريه مع أحد المعارضين للتدخين، فحادث مثل هذا يتم دائماً بسحب إعلانات الشركة من هذه الجريدة وحرمانها من كل الإعلانات

مستقبلاً، وغالباً ما يتم إرسال الفاعل إلى الجحيم، وأحياناً أخرى يتم فصل الفاعل، ويقضي ما تبقى من حياته في لعب دور بابا نويل.

الأعمال الخيرية التي يقوم بها برومرتيم هي من الأعمال الرائدة لتحسين حياة البشرية، فهي موجهة إلى العديد من الميادين كالصّحة، حيث وزع جزءاً من مبيعات السّجائر على جمعيات خيرية ومستشفيات متخصصة لعلاج مرضى التّدخين، أحد الميادين الأخرى التي تهتم بها هذه الأعمال هي الشّباب، فهذه الأعمال تشمل تجهيز المكتبات الموجهة للشباب وفتح مكاتب لمساعدتهم على إيجاد فرص عمل وفتح قاعات لإجراء حفلات موسيقية أو لعرض بعض الأفلام المسلّية والنافعة، ويقوم برومرتيم أيضاً بفتح المتاحف، كما تقام حفلات موسيقا الجاز والبوب لمن يتّسم بالطيبة والولاء.

أما جوركا فيقوم بالتنسيق مع بوادر لإيجاد جامعات أو معاهد تجري أبحاثاً يتم تمويلها عن طريق شركة إنتاج السّجائر، أما الموضوعات المقترحة، فهي تدور حول الادعاءات القائلة بأن السّجائر مضرة أو تلك التي تتكلم عن أضرار التّدخين السلبي، ولتمويه السمكة كما يقولون تشمل البحوث أيضاً المواد المستخدمة في تصنيع السّجائر.

يحاول جوركا وزميله إقناع هؤلاء الباحثين؛ لكي يقوموا بدورهم في إقناع الجميع بأن كل ما قيل هو مجرد افتراء وتلفيق، لكن العديد من المهتمين بالبحث رفضوا حتى التحدث إليهما بالهاتف.

- منذ عام 1961م لا يخفى على أحد أن السّجائر تنثر على الأقل 400 مادة سامة عبر الدخان، إنك تعلم أن 40 مادة مسرطنة هي إحدى المكونات للسجائر، وأن التّدخين والتّدخين السلبي يسببان الأورام.

- نحن الآن نتعاون مع القاتل، هذا ما قاله أحد المصابين بالكساح، بعض الباحثين الذين يتّسمون بالضعف اكتشفوا أن البحوث التي قاموا بإنجازها جاءت متأخرة؛

لأن نتائجها تم تحسينها من باحثين آخرين، وهناك من لا يريد التعاون بحضور محامين معينين من قبلنا أو كوادر من الشركة، يريدون المال وحرية العمل، فهؤلاء يحلمون وأحلامهم صعبة المنال. فهم يريدون التعامل معنا في السر دون معرفة أي سلطة كانت قبل نشر البحوث.

جوركا لا يتعامل مع هؤلاء، وينتهي دائماً بإيجاد الدمية المتحركة المستعدة لتنفيذ أوامره وإنجاز ما يريد، والوصول إلى النتائج التي ترضيه ولو تم تغيير طبيعة الواقع والتعبير عنه بطريقة خادعة. انتهى جوركا من إعداد محاضرات ولقاءات شارك فيها علماء موالون لهم، مقابل 2500 دولار يومياً، وبعض الباحثين الذين اجتهدوا لإيجاد شيء ما.

إن جوركا يكاد ينفجر من الضحك عند سماعه ما يقال فوق كل منصات العالم من خرافات، مثل:

علاقة التهاب القصبات الهوائية وتناول الخضراوات وتشبيهها بعلاقة التّدخين السلبي الذي ينتج عنه التهاب القصبات الهوائية.

أو الخرافة الآتية:

- التّدخين السلبي أقل خطورة من الجلوس قرب الببغاء المصري.

فهذا دليل على أن السّجائر ليست وحدها مصدر مضرة للإنسان، فالمال أيضاً مضر؛ لذا يجب الدفاع عن كل البحوث الثمينة التي يتم تمويلها بسخاء من قبل الشركة، وجل هذه البحوث محفوظة لدى المحامين، وهذه طريقة مخادعة يتم استخدامها عند الضرورة، فأي وثيقة يتم إدانتها محمية بموجب سر المهنة.

لقد فهم جوركا منذ زمن بعيد أن الشركة يجب أن يقوم طرف ثانٍ بالذود عنها وحمايتها، وهذا ما تقوم به مجموعة من المحامين الذين يتعامل معهم بروموريتيم، وهم الذين يقومون بإقناع المحاكم بعد إصدار حكم ضد موكلهم لتعويض هذا المتضرر، أو ذاك.

لكن هؤلاء المحامين يقفون عاجزين أمام صراخ الرأي العام المتزايد بعد إطلاعهم أكثر فأكثر على مضار التدخين والأساليب الملتوية التي تنتجها شركات السّجائر؛ لذا كان لازماً أن نبحث عن غيرهم لتولي هذه المهمة الصعبة ألا وهي الدفاع عن الشركة، وهم (متطوعون) يقوم جوركا بجلبهم على شكل أفراد أو مجموعات، لقد قام بإنشاء مؤسسات لهذا الغرض، مهمتها إقناع الرأي العام بتركه حرية التصرف لمن يريد التّدخين، أو يرغب في التّدخين، وكان بإمكانه خلال 48 ساعة تجنيد العديد من المتطوعين للاحتجاج على زيادة الضرائب على السّجائر، من ضمن الوسائل المستخدمة لهذا الغرض حمل لوحات كتب عليها: نحن ضد إقصاء المدخّنين، مع التسامح مع المدخّنين، مدخنون وغير مدخنين في خندق واحد، المدخّنون هم المهمشون الجدد، نريد الحرية، لا لفاشية الصحة.

جوركا يعرف أن آدباتريس يحتفظ بأفلام الفيديو الخاصة بهذه التظاهرات العفوية، فالنتائج المترقبة عن هذه الأعمال الشيطانية تبهر جوركا، وينتج عن هذه التظاهرات تأجيل رفع الضرائب أو إلغاؤها، مما يسمح لكثير من المناهضين لنا بالرجوع إلى الصف والدفاع عن قضيتنا، ولا يتم تأجيل الضرائب فحسب، بل يتم تأجيل الأمر بعزل المدخّنين أيضاً، والمستفيد الأكبر من هذه الإجراءات هو الشركة الصانعة للسجائر.

جوركا يولي اهتماماً خاصاً بالمطاعم، في سنة 1987م قامت إحدى الدول الأوربية بإصدار قانون ضد التّدخين، التّدخين الذكي، كما يحلو لجوركا تسميته؛ لأن هذا القانون جاء لصالح شركات السّجائر، والقانون يتمثل في الآتي: عزل المدخّنين عن غير المدخّنين بإنشاء ركن للمدخنين وآخر لغير المدخّنين مع تجهيز ركن المدخنين بتهوية، وهذا لا فائدة منه للمدخّنين، ولكنه لصالح آدباتريس والمتعاونين معه، ولحسن حظهم لم ينتبه أحد لفعالية هذا الفصل من عدمه؛ لأنه بالرغم من التهوية الموجودة في ركن المدخّنين فلا يمكن التخلص من تدخينهم السلبي في المطعم الواحد.

فالتلوث موجود، بالرغم من الفصل والتهوية، فهذا الإجراء لصالح المدخّنين الذين سيستمرون في التّدخين بأمن وسلام.

في هذه الأثناء قام جوركا والمتعاونون معه بإعداد حملة للترويج إلى الأدب والاخلاق الفاضلة، وهذا من الأعمال الجيدة التي تقوم بها الشركة لتلميع صورتها، وكان أول من وقع في هذا الفخ هو (أنت) لأن زبائن المطاعم كلهم مدعوون إليها، والمدخّنون وغير المدخّنين كلهم مرغوب فيهم، حتى أولئك الذين يكرهون المطاعم التي تستقبل المدخّنين، وانتشرت هذه الدعاية المروجة للأدب والأخلاق حول العالم، وأصبحت من العادات المعمول بها، هذا ما سمح لجوركا بالتصدي لكثير من التحديات، فلقد قام بنشر: (ليس من حقكم تسميم الآخرين)، في 13000 مطعم بإحدى الدول الأوربية التي منعت التّدخين، واستمر هذا الوضع عدة سنوات، فكان المستفيد الأول والأخير هو شركة السّجائر؛ لأن القانون المحلي بهذه الدولة لا يمانع في قيام بعض أعوان جوركا المحليين من الدفاع عن المدخّنين، فمهمتهم هي التخلص من المناهضين للتدخين السلبي؛ لأن المشكلة انتهت بفصل المدخّن وغير المدخّنين.

بإمكان صاحب أي مطعم أو مقهى أو حانة وضع إشارتين أمام محله، واحدة حمراء لرفض المدخّنين وواحدة خضراء لاستقبال الجميع، فاستفاد من هذه الطريقة أصحاب المطاعم لغير المدخّنين فزادت مبيعاتهم بعشرين في المئة، واستفاد من يدخن أو لا يمانع في التّدخين أيضاً؛ لأن الشركة الصانعة توزع عليهم ولاَّعات وقبعات رياضية تحمل علامتها أو قمصاناً وشنطاً تحمل على الظهر وعينات دعائية، سواء أكانت هذه الإعلانات ممنوعة أو مسموحة، شملت هذه الهدايا الجميع، فحتى مضيفات الملاهي والمطاعم شاركن في إكرامية برومورتيم؛ لأن الموزع يقول لهم: هذه هدية من برومورتيم، الإكرامية تكون أضخم عندما يتم الاجتماع للترويج للسجائر، وخاصة بحضور وسائل الإعلام.

لمواجهة السياسيين أو جميعات الدفاع عن غير المدخّنين أو جمعيات محلية أو تابعة للأمم المتحدة المناهضة للتدخين، لمواجهة كل هؤلاء لا تتوارى الشركة إلى

الخلف، بل تواجههم بحزم وثبات، مدعية أنها لا تقوم إلا بتزويد المدخّن بما يحتاج إليه من السّجائر؛ لأن هذا هو اختياره الشخصي، وفي هذا المجال يعرف جوركا فن التمثيل جيداً.

فهو يعرف كيف، وأين يحصل على الوسائل لتعطيل أو تأجيل أي إجراء تتخذه السلطات المحلية، فيلجأ إلى حيله المعهودة، مثل هذه: يقترح على السلطات أن تطلب من الموزعين وأكشاك بيع السّجائر المشاركة في الحملة ضد التّدخين، أليست هذه فكرة شيطانية وذكية في الوقت نفسه؟

يلجأ جوركا إلى حيل أدهى من هذه، إذ يقترح على بورمورتيم مساندة السلطات المحلية في مكافحتها للتدخين، فرسمياً الشركة تساندهم، ولكن خفية تقوم بمناورات خبيثة لإقناعها وإقناع المدخّنين بأن هذه الإجراءات عديمة الجدوى، من خلال هذه المناورات يقوم بورمورتيم بالتعبير عن رفضه للتدخين في المصاعد مثلاً، لقد وصلته رسائل شكر عديدة على شجاعته وجرأته في التصدي لمن يدخن بالمصاعد، ذهب بورمورتيم إلى أبعد من ذلك فطلب اتخاذ إجراء ومعاقبة كل من يخالف هذا القانون، ولكنه يضع شرطاً تعجيزياً. من يريد أن يدخن في المصعد، فبإمكانه فعل ذلك بحضور شرطي في المصعد، وجوركا بدوره يشتغل في الخفاء، فهو يقوم بتعطيل أي إجراء سلبي، ولو تم تنفيذ أي إجراء دون علمه، فإنه سيبذل مجهوداً كبيراً للحد من مفعوله، فمثلاً بخصوص التوجيهات الصحية لقد أصبح جوركا، ومن يساعده خبراء في تعطيل أي قانون يصدر، حتى ولو تمت رشوة من يطبعه بصورة رديئة؛ حتى يستحيل فهمه، حتى الدعاية التي تقول: «التّدخين مضر لصحتكم» تصبح: «التّدخين يمكنه أن يضر بصحتكم» والفرق شاسع بين هذا وذاك، فبعضهم يبتسم في الخفاء؛ لأن بعض التوجيهات الصحية المهمة يتم كتابتها بحروف صغيرة جداً؛ لتستحيل قراءتها.

في يوم من الأيام، هؤلاء (الفاشيست) المدافعون عن الصحة كما يحلو لجوركا تسميتهم قرروا استبدال القوانين، لقد أرادوا إلغاء نوعيات السّجائر، أي الماركة

المميزة لها؛ لتصبح مثلها مثل الدواء، هذا يعوض ذاك. أضف إلى ذلك كتابة إرشادات صحية مصحوبة بالصور، ويضاف إلى داخل العلبة ورقة تحتوي على إرشادات طبية، لكن جوركا استطاع وضع حد لهذه الإجراءات التعسفية، بالرغم من ذلك اضطرت الشركة إلى إجراء بعض التعديلات، كإلغاء 30٪ من المساحة المخصصة للكتابة على العلبة والتصغير من الحروف وإجراءات أخرى يمكنها إلحاق ضرر بمصالح الشركة على المدى البعيد.

وسط هذه الأجواء الساخنة بقي الأمل موجوداً؛ لأن أصحاب القرار اكتفوا حالياً بالنداءات الطبية فقط، وهذا طبعاً قد يقلل من فاعلية هذا الإجراء.

فتمسكهم بـ (الإجراءات الطبية الصحيحة) دون التعرّض لسلوك المدخّنين وحالتهم النفسية، فهذا طبعاً يعد من صالح بورمورتيم. بالرغم من حمق هذه الإجراءات إلا أنها تبقى خطيرة؛ لأنها تحد من عمليات التهريب وتقلل من إقدام المهرّبين على مواصلة عملياتهم غير القانونية.

لكي يعطل هذا الإجراء طلب جوركا من الجهة المعنية إرفاق صورة حادث مميت لكل مشروب كحولي متسبب، وإرفاق هذه الصورة أيضاً على واجهة كل سيارة وعلى لوحات القيادة، بالإضافة إلى كتابة مسبب للتسوس والسمنة والسكري، على علب الحلاوة، وكتابة مسبب لتلويث البيئة على كل محطة بنزين، ومسببة لتسخين الأجواء بتلوث، هذه هي الوسائل التعجيزية التي اقترحها جوركا لمواجهة أعداء التّدخين، وقام جوركا بصنع حاملات علب سجائر بحجم العلب المحظورة، في بعض الأسواق ونشر المقولة الآتية: (الدخان يقي اللحم من التعفن) مستشهداً في ذلك باللحم المدخّن.

من بين الأعداء الكبار لجوركا وأمثاله منظمة الصحة الدولية، فقام جوركا بتجنيد جيش من العملاء للتصدي لهذه المنظمة الخطيرة التي تعيق أعمالهم، فهي لا تكتفي بالعناية بمرضى التّدخين وضحاياه، بل تريد التحكم في الاستهلاك لهذه المادة القاتلة. لقد قام جوركا برشوة موظفين سامين للتقليل من عمل هذه المنظمة،

وحاول مع آخرين دون جدوى، فاضطر إلى اللجوء إلى أشخاص آخرين لتحريف النتائج التي توصلت إليها بحوث هذه المنظمة وتخفيض الميزانية المخصصة لهذه البحوث.

كان جوركا يتصدى برفقة بوادر وأنتوكس لأي معلومات تصدر ضدهم، فيقوم بتشويشها وإبطال مفعولها، وعند أي مهاجمة للتبغ يقوم بإعداد ملف زاهر لإحياء هذه النبتة السحرية والترويج لها لدى الجمهور، ولإثبات صحة أقواله يقوم بعرض نبتة ذات زهرة جميلة لم تستخدم أبداً في صنع السّجائر، مدعياً أن هذه النبتة الجميلة هي المادة الأولية في صنع السّجائر، نبتة جميلة مثل هذه لا يمكن أن تكون سيئة كما يحلو له القول، ويسترسل في كلامه، إذ يقول: إن مثل هذه النبتة يمكنها أن تجعل البشرية قادرة على إنتاج مادة الأترلوكين 10، وهي مضاد حيوي ضد الالتهابات، وإذا اضطر جوركا فقد يلجأ إلى الادعاء بأن التّدخين يساعد على التخلص من مرض (بركنسون) بالرغم من أنه يعلم أن المدخّن يمكنه أن يموت قبل إصابته بمرض (بركنسون).

جوركا يعمل في السر والخفاء؛ لذا فهو حريص على عدم معرفة الجمهور لهذه الحقيقة: إنتاج سجائر أقل ضرراً؛ لأنها قد تزيد من نسبة النيكوتين بـ50٪ وتقلل من مادة القطران، فهناك من المعلومات التي لا يريد معرفتها إلا هو وأصدقاؤه، خاصة تلك التي تتعلق بمادة النيكوتين.

عند مواجهة أي عميل من عملائه من أعداء التّدخين أو الصحافة يلجأ جوركا إلى مقارنة التّدخين بالكحول؛ فالسّجائر التي تتسم بالطيبة عكس المشروبات الكحولية الشريرة، وهي لا تؤثر في الأعصاب ولا تغير الشخصية، وليس لها أي علاقة بالفشل في العمل والفشل الشخصي، هذا كذب وافتراء.

وكثير ممن يحضرون محاضراته يصدقون أكاذيبه ويخرجون من محاضراته، مطمئنين ويتمادون في تدخينهم والسعادة تغمرهم.

إنه يحلو لجوركا الظهور أمام الرأي العام بمظهر المضطهد المظلوم، إذ يقول في ذلك: كل المدخّنين يعرفون أن التّدخين مضر، لكنهم يدخنون بمحض إرادتهم، فهم لا يطالبون لا هم ولا ورثتهم الشركة بتعويضهم عن مضرات التّدخين لهم، إن كانت هناك مضرة، وليزيد جوركا قوة رأيه يقوم بإجراء استطلاعات للرأي العام والمعنيين بالأمر في المحاكم، وتنتهي هذه الاستطلاعات بالنتيجة الآتية حسب قول جوركا: 91٪ ممن شملهم الاستطلاع عبروا عن استيائهم من الإجراءات المتخذة ضد الشركة المنتجة، والنسبة نفسها تعارض ارتفاع الضريبة على السّجائر، كيف لا نصدق هؤلاء المشاركين في الاستطلاع، ألا تدل شهادتهم على أن بروموتيم فاعل خير؟ للعلم، فإن بعض هذه الاستطلاعات تتم عن طريق التعذيب.

في عصر الإنترنت أصبحت هذه الوسيلة من ضمن مناوراتهم بصفة مباشرة للترويج للسجائر أو بصفة غير مباشرة بتدمير مواقع هؤلاء المتربصين بمصالح الشركة والمحاربين لها، آدبارتيس يردد دائماً الغاية من كل هذا هي الدفاع عن مصالح الشركة والدفاع عن الأسواق الجديدة للمحافظة على المليارات التي تنهال على الشركة سنوياً.

قام جوركا بالمشاركة في عمل خلية، أُعدّت خصيصاً للتفكير في موضوع تغليف العلبة والتعديلات المفروضة عليها، فاقترح على العديد من الدول إدخال علبة جديدة في الخدمة تحتوي على خمس سجائر فقط، فهي فكرة جيدة للمنافسة على بيع السّجائر بالسيجارة الواحدة، كما هو معمول به في العديد من الدول الفقيرة، من حين إلى آخر يحصل على موافقة بعض الدول لتوزيع هذه العلب على أطفال المدارس البالغ عمرهم 9 سنوات. هذا ما يمكن فعله لمساعدة العالم الثالث، وتتفنن الشركة في إضافة مادة غير مرغوبة لدى القوارض بكميات تجعل ضحايا التّدخين يتمسكون بها بشراهة، كل طفل يقوم بإشعال هذه السّجائر الغنية بالإضافات يتم منحه جائزة؛ تعبيراً عن حسن الاختيار، ولجذب الأصغر منهم وتحفيزهم تقوم الشركة بتزويدهم بولاعات وسجائر مماثلة مصنوعة من الشوكولاتة في علبة شبيهة بعلبة السّجائر الحقيقية.

هذا يذكِّر (أنت) بأيام زمان، عندما بدأ يدخن أول سيجارة، فلا حاجة له اليوم لهذه الإغراءات للإقدام على التّدخين، ويتباهى جوركا بالقول: إن 5٪ من المدخّنين تم جلبهم عن طريق الشوكولاتة، بالرغم من أنه تم التحفظ على العديد من الشاحنات المحملة بهذه الشوكولاتة، غير أنها لا تكلف الشركة أموالاً طائلة.

لقد حصل جوركا على الموافقة بتصنيع علب تحتوي على ١٠ سجائر تسمى علبة الأطفال. فما هي هذه العلبة إلا فخ لهؤلاء الذين يحاولون التقليل من السّجائر للتخلص منها تدريجياً، ولكنهم سرعان ما يعودون إلى هذه العلبة الصغيرة الجذابة، فهذه لعبة قذرة من ألاعيب الشركة توحي بأن الشركة تلجأ إلى تصنيع علب صغيرة؛ لأنها تريد أن تتوقف تدريجياً عن إنتاج هذه المادة السامة، أما زيادة محتوى العلبة التقليدية من 20 إلى 25 سيجارة، فلم يغير شيئاً؛ لأن المدخنين استمروا في شرائها مما يوحي بأن مبيعات برومورتيم قد تزيد بـ25٪ بالإضافة إلى المدخّنين المحتملين الجدد، بعد هذه اللعبة القذرة والمفيدة سوف تلجأ الشركة إلى ابتكار علبة الثلاثين سيجارة التي يمكن إدراجها في السوق، إلا إذا جاءت ضرائب جديدة؛ لتعطل من مسيرتها، لحسن حظ الشركة، فالمهربون موجودون ومستعدون لبيع أي شيء، وبشكل أفضل.

كان جوركا يملك جبالاً من الأسهم في الشركة، وكان يعرف أنه مهما كانت الأسعار ومهما بلغت المبيعات فالشركة تستفيد وهو يستفيد، أما برومورتيم وشركاؤه فلا يكترثون لتضارب الأسعار والمنافسة في السوق نفسه، فالنوعيات المعروفة الشهيرة هي التي تخرج فائزة من المعركة وتضمن مبيعات المستقبل.

بما أن جوركا ينحدر من أصول شرقية، فقد كان يحسن مخاطبة غيره بلهجة المتديّن، وخاصة رجال الدين الذين يعاشرهم منذ زمن طويل، لقد قام بمخاطبة أحد المفتين الذي تجرأ على إصدار فتوى تحرِّم السّجائر، فكان يجادله بالقرآن بالآية التي يستدل منها على أنه ينبغي على كل مسلم أن يلتزم بما جاء في الشريعة السمحاء وتجنب كل ما يمكن أن يضره أو يضر بصحته وبماله وأهله ومجتمعه،

وبهذه الكلمات الربانية واللغة المعسولة استطاع جوركا إقناع المفتي بأن التّدخين غير ضار، وبالتالي فهر غير محرم.

تلك هي عبقرية جوركا التي تمكنه من تركيع أي عدو مهما كانت قدرته الاستفزازية، ففي سنة 1990م مثلاً قامت تايلندا باتخاذ إجراءات مضحكة ضد التّدخين، والإجراء الأكبر ضد بروموتيم لمنعه من ترويج إنتاجه في السوق التايلندية، معتمدة في ذلك على احتكار الدولة لهذا الميدان بالذات، فكان رد بروموتيم قاطعاً، سوف ندخل. وهنا كان دور مافيا التهريب حاسماً، فازدهرت المبيعات أكثر من ذي قبل، بالرغم من أن السوق بقيت موصودة في وجه الشركة، لكن بروموتيم لجأ إلى قوانين التجارة الدولية، بالإضافة إلى ضغوط سياسية على أعلى مستوى، فاضطرت تايلندا إلى فتح سوقها من جديد لمنتج بروموتيم.

لقد قام جوركا بعمل جبار لرفع الضرائب على الاستيراد من تايلندا؛ لذا سارعت تايلندا بفتح أبوابها من جديد وفتحت أمريكا سوقها أمام المنتجات التايلندية بشروط منها: ممنوع الدعاية لمنتجاتها، وتبقى الضرائب مرتفعة، ومراقبة التوزيع، ويمنع استخدام الموزع الآلي لترويج منتجاتها.. وإدراج كل مواد إضافية لمنتجاتها في قائمة مفصلة، فاضطر التايلنديون إلى إنتاج سجائر تتضمن 16 مادة إضافية فقط، بينما إضافات بروموتيم بلغت 600، نتج عن هذا معركة ساخنة، فالسفارات ورجال السياسة أصبحوا يخشون التعامل مع شركات السّجائر، فاعترفت منظمة التجارة الدولية رسمياً بأهمية صحة الإنسان قبل التجارة، وإنها لظاهرة فريدة من نوعها. فبعد هذه الحادثة أصبحت تايلندا من الدول التي يقتدى بها في محاربة التّدخين.

دخلت شركات الصيدلة في المعركة وهددت بروموتيم لتزعمه شركات العالم وتهديد مصالحها، لكنها سرعان ما انتبهت إلى أن ازدهار شركات التبغ من شأنه رفع مبيعات الأدوية، فاقترح الصيادلة أن يُستبدل بالنيكوتين المعتاد نيكوتين اصطناعي تنتجه الصيدلية للتخفيف من أضرار السّجائر، لكن آدباتريس لم يعجبه

هذا الاقتراح؛ لأنه سوف يشجع الكثير على التخلص من النيكوتين الذي يقوم بإنتاجه ويتجهون إلى النيكوتين الاصطناعي. اكتشف جوركا أن أحد المصنعين الكيميائيين المتخصصين في إنتاج بعض المواد القذرة، بدأ يفكر في إنتاج مادة النيكوتين الجديدة، واكتشف أيضاً أن شخصاً آخر ينتج مواد إضافية تدخل في تصنيع السّجائر، في أول اجتماع للشركة تقرر عدم التعامل مع مصنعي هذه الإضافات المشكوك فيها والاكتفاء بما هو معمول به.

أما بروموريتيم، فقد احتفظ بالكيميائيين حتى تتضح الأمور التجارية ثم تخلى عنهم، فتمرد أحدهم عليه وطلب من موظفيه الترويج للنيكوتين الجديد، فهذا طبعاً سيسيء إلى بروموريتيم ويسبب له أضراراً بالشركة، خاصة بعد ما أثبتت إحدى الدراسات أن كل مدخن ينفق 60.000 دولار مدة حياته على صحته، وهذا الرقم يعادل تقريباً ما ينفقه على التّدخين في أثناء المدة نفسها، وعلم جوركا أن هذا الكيميائي المتمرد يقوم بتمويل مجموعات محاربة التّدخين، فطلب منه التوقف عن هذا التمويل مقابل شراء منتجه من النيكوتين من جديد، ثم أنهى آدباتريس الصفقة، قائلاً: الفاسق يجد دائماً لغة للتفاهم مع فاسق أشطر منه.

كانت آخر مهمة هي مهمة جوركا ألا وهي تنسيق الأعمال الخاصة للمجموعة ومراقبتها، ومن بين هذه الأعمال التخلص من بعض الأشخاص، والمزعجين منهم بصفة خاصة.

# الفصل 18

في يوم الإثنين سنة 1999م بدأ (أنت) العمل في شركة (شيم آر)، من البداية قيل لهم: إن خمسة فقط من بين الستة الذين سيشاركون في الدورة سيتم توظيفهم نهائياً، والدورة ستدوم ستة أشهر نظرية وعملية مرفوقة بزيارات للزبائن مع بائعين محنكين، أسبوع للدراسة وأسبوع لزيارة الزبائن، أكبر هؤلاء المتدربين عمره 26 سنة، من بينهم ثلاثة مدخنين، تم تخصيص ركن خاص بهم وأوقات محددة للتدخين.

شركة (شيم آر) شركة لا تنظر إلا إلى النتائج، وتولي اهتماماً خاصاً بالبحث العلمي والتنمية والموارد البشرية، وقام ثلاثة مدراء بتقديم الشركة وتعريفها إلى هؤلاء المتدربين مع إجراء توضيح جدول دورتهم.

كان تحمس أحد المتكلمين له إيقاع خاص في آذان المستمعين، فاقتنعوا كلهم أن من يعمل في هذه الشركة فهو من المحظوظين، والأهم من هذا أن من يعمل في قسم المواد المضافة للسجائر، فهو محظوظ أكثر؛ لأنه يفتح المجال للتصدير، فكل من يتوظف في الشركة يأمل في أن يصبح يوماً ما متربعاً على رأس هذا الهرم العظيم. الكيميائي المسؤول عن البحث العلمي والتنمية كان غير متحمس لما يسمع.. لكن ما قاله كان دقيقاً واضحاً وعملياً. وجد (أنت) أصدقاء قدامى، تفاجأ بوجود الكثير من المواد العادية والمواد الطبيعية من بين المواد التي تروج لها الشركة (هل تتناسق المواد الكيميائية مع المواد الطبيعية؟ هذا ما قاله (أنت بداخله) كانت الأصناف تشتمل

على 1400 مادة، يجب على كل متدرب معرفتها معرفة جيدة ومعرفة كيفية استعمالها من قبل الزبائن، كما يجب معرفة الغاية من استعمالها.

أما المحاضر الأخير، فهو مدير المبيعات، فهو من البائعين القدامى المحنكين؛ لأنه يستطيع بيع حماله إلى فيل حسب تعبيره، عمره 34 عاماً.

وقد بلغ هذا المحاضر القمة في هذا السن، فهو يحب نقل حماسه وخبرته إلى الشباب؛ فبرنامجه يخصّ بصفة خاصة تقنيات البيع وكيفية التأثير في الزبائن وكيفية تقديم الدليل اللازم لإقناع الزبائن، بالإضافة إلى اختيار الألفاظ والحركات اللازمة المستخدمة في الشركات الكبرى، فالوضع هنا يختلف عن الجامعة، فيه الجدية والعمل والتطبيق أكثر من اللازم، كان (أنت) في منتهى السعادة؛ لأنه سوف يعمل مع عباقرة مثل هؤلاء.

قضى المتدربون الأسبوع الأول مع المسؤول على المواد الكيميائية، فعرفهم بالنباتات التي تدخل في صناعة السّجائر، تشمل هذه المواد اليانسون والحبق والبرغموث والكمون والجزر واليقطين وجوز الهند والقمح والشمار والياسمين وحشيشة الزوفى والخزامي والليمون، والليمون الأخضر، والكاشم، واليوسف أفندي، وجوز الطيب والسنديان، والبرتقال والمر والسوسن وسعف النخيل، والقصعين والنعناع الأخضر، والنعناع الفلفلي، والفلفل الأسود، والصنوبر، وخشب الزهور، والزعتر، وحشيشة القط، والناردين الطبي، بالإضافة إلى أعشاب أخرى كثيرة.

يجب أن يعرف (أنت) خصائص كل نبتة ومصدرها والأجزاء التي يتم استخدامها ولماذا وكيف يتم جنيها وما هي الزيوت المستخلصة منها، والصبغة المستخرجة منها، بالإضافة إلى المواد المشتقة منها... إلخ.

عدد هذه النباتات كبير جداً، لكن فيه متعة ثقافية كبيرة، لكل واحدة من هذه النباتات استعمالاتها الخاصة والمعروفة، بعض الزبائن لا يريدون إفشاء سر استخدامها، صناعة السّجائر بسويسرا مثلاً سمحت بإضافة هذه النباتات حتى 25٪ من وزن السيجارة الواحدة.

أما الأسبوع الثاني، فتم تخصيصه لمرافقة المدرب في أثناء العمل. فكانت المتعة أكثر؛ فالمدرب يبلغ من العمر 27 سنة، فهو يحلم أن يصبح مدير المبيعات، له طموح بلا حدود، والغريب أنه لا يدخن. البرنامج كان زيارة للمصانع الصيدلانية، والمصانع الغذائية ومصنع سجائر، كان (أنت) يتابع كل ما يقال عن المصطلحات الفنية باهتمام زائد، بالإضافة إلى الجانب التجاري والإنساني، كان (أنت) يتابع ذلك بسعادة غامرة؛ لأن هذا هو العمل الذي يرغبه، فهو كالبدلة التي تم تفصيلها خصيصاً له.

في آخر شهر يناير قضى أياماً عديدة في التعرّف على مواد الإستلبريدين والأمونيا والبنزلدهيد، والبنزيل، والبوتيل، والسيناميل وأربعين من مادة الإثيل ومادة الإبزواميل و56 من مادة الميثيل المختلفة، تشبع (أنت) من هذه المواد وهضمها هضماً جيداً.

وفيما بعد قام المدرب بتعريفهم على مواد أخرى تدخل في تركيبة السّجائر، مثل: الأمونيا، وعصير التفاح، والمشمش، والبن، والكافيين وكربون الكالسيوم، والهندباء، والشوكولاتة، والكاكاو، والكونياك، والعسل وزيت النعناع، والروم، والوسكي، والسكر والشاي، والبرقوق، وحمض البول، والخميرة والخل... إلخ.

لكل هذه المواد البسيطة والمعروفة أضرار خفية، من يعرف مفعولها الخفي يمكنه إقناع المدخّنين بالإقلاع عن التّدخين، كما يمكنه إقناع شركات التّدخين بالتخلص منها.

تعرف (أنت) على هذه المواد عن قرب؛ لأن صناع السّجائر من أكبر مستخدمي هذه المواد، ولتحلية كل هذا الخليط من المواد تقوم شركات السّجائر بشراء كميات كبيرة من السكر والعسل والسوس والنعناع.

المعادلة المعروفة لدى المصنعين: معادلة السّجائر = الحلاوة أصبحت سهلة المنال بإضافة الكاكاو، والشوكولاتة للمواد الحلوة السّالفة الذكر، والغرض منها تسهيل بلع الدخان في العمق والتعود السريع على ذلك، مادة الكاكاو ومادة السوس هي أيضاً

من المواد المضرة؛ لأن مادة السوس عندما تحترق تزيد من المادة المسرطنة، ولكي يزداد تأثير النيكوتين تضاف مادة الخميرة لتسريع التفاعل.

في 31 مايو 1999م بمناسبة عيد ميلاد (أنت) قررت فلورانس أن تكون هذه المناسبة مناسبة اتخاذ القرار: قرار التوقف عن التّدخين، فقال (أنت):

- أنت يمكنك اتخاذ القرار، لكن أنا لا.

لازال غير مقتنع بالرسالة.

في آخر يونيو تعرف على 600 مادة مضافة للسجائر وتأكد من ذلك، وفيما بعد سوف تصبح 800، كل هذه المواد السامة القاتلة سوف تسهم في ضمان مستقبله الزاهر. لقد أكد له ذلك مدير لمبيعات بالشركة، بعد أداء مقابلة معه أثبت له فيها أنه يمتلك كل المقومات التي تجعل منه أفضل بائع في الشركة، وفي أول يوليو 1999م بدأ (السباحة) في هذا المستنقع الكبير، مستخدماً سيارة الشركة، كان عمله يقتصر على مراجعة الزبائن الحاليين دون البحث عن آخرين، فكان يكرس كل اهتمامه على هؤلاء.

بعد أربعة أيام استلم (أنت) من جديد ظرفاً حقيراً، مع أنه يرفض مثل هذا التعامل السخيف، فقد قام بفتحه دون تردد وقرأ:

**(لقد تم الحكم عليك بالموت)**

**يتبع**

الجديد في هذه الرسالة كان غير سار، ففي الظرف الأول الذي استلمه من سنة تنبأ هو نفسه أنه سوف يموت من الضحك. لقد انزعج كثيراً من مضمون الظرف الأخير وتملكه القلق، قام (أنت) بعرض الظرف على والديه، طالبته الأم بمقابلة المفتش شامل وبأسرع ما يمكن، أما الأب فطلب التروي وتقصّي الحقيقة، حقيقة هذه الرسالة قبل التصرف، تقصّي الحقيقة إذا كانت هناك حقيقة أصلاً، ربما يكون الفاعل مجنوناً أو مهووساً أو مازحاً.

– لقد حكم بالإعدام على (أنت)! طبعاً كلنا محكوم علينا بالإعدام المؤقت، وبعد فما الأمر في ذلك؟ هذا ما قاله الأب، وقرّر الجميع عدم فعل أي شيء وعدم إزعاج فلورانس بهذه اللعبة الحقيرة.

بما أنه تم توظيفه حديثاً ليس لـ (أنت) الحق في التمتع بالإجازة حالياً، بعكس فلورانس التي تتمتع بحرية تامة، خلال شهرين، اجتمع الحبيبان واتفقا على إعلان زواجهما في 17 يوليو سنة 2000م، فلورانس تبلغ من العمر 24 سنة أما هو، فعمره 21 سنة، بدايتهما قد تبدو ناجحة، فهي توظفت في التعليم، وهو توظف في شركة مرموقة، كانت فلورانس في منتهى السعادة مما جعلها تتغاضى عن مطالبته بالعدول على التدخين في الوقت الراهن، يبدو أنها تعودت على هذه الظاهرة، سوف يكف عن ذلك في يوم من الأيام مثل والده ويتحرر من هذه الأغلال، لقد قالت في داخلها: إنه من السهل الانفصال عن الزوج أكثر من انفصاله هو عن السّجائر، هذه هي الحقيقة المرة.

في آخر شهر يوليو قامت فلورانس بتوضيح خطة زواجهما، زواجها المستقبلي، يبدو أنها درست كل شيء بالتفصيل، قَبِل (أنت) كل اقتراحاتها دون تردد. يبدو أن زواجهما سوف يكون زواجاً يتسم بالإبداع، خطيبته تريد حفلاً كبيراً يكون لهما فيه الدور الأول في هذه التمثيلية الرائعة والفريدة من نوعها.

يجب الاعتناء باختيار الضيوف وملابسهم وكيفية استقبالهم؛ لكي يكون هذا السيناريو جميلاً ومتقناً، ولكي يتم عبور هذه المرحلة، فلا بد لهما أن يعبّرا لهؤلاء الضيوف عن سعادتهما الغامرة، فرغبة كل واحد هي تسجيل هذا الحدث في ذاكرة التاريخ إلى الأبد.

أما بخصوص ملابس الفرح، فتحتفظ فلورانس بالمفاجأة السارة، أما (أنت) فلبدلة (سموكنج) الكلاسيكية هي الأنسب بالرغم من أنها تشبّهه بالبطريق.

في أواخر شهر أغسطس اتفقت العائلتان على هذا المخطط، تبقى شيء واحد: أين سيسكن العروسان؟ لأن المسافة التي تفصل عملهما لا تقل عن 120 كلم، في مثل

هذه الحالة جمع الشمل هو الأنسب، هذا رأي فلورانس؛ لذا بدأ (أنت) بالتفكير جيداً في هذا الموضوع.

يبدو أن (أنت) بدأ يثق في نفسه شيئاً فشيئاً بمرور الوقت، إنه سعيد؛ لأنه حصل بالموافقة على تزويد إحدى شركات التبغ بثلاث مواد إضافية من الشركة التي يعمل بها، المواد هي مادة الكاكاو ومادة السوس والسكر، هذه المواد الصعبة في الاستعمال في تصنيع السّجائر لما تتطلب من تقنيات عالية سوف تعزز من قبوله في الشركة، لقد أحس أنه مقبول من طرف الزبائن، همه الوحيد الآن هو معرفة كيفية استخدام هذه المواد في تصنيع السّجائر، لكنه يعلم أن السيجارة تحتوي على 25٪ من وزنها من الإضافات.

مبيعاته الأخيرة لا تساوي إلا 3٪ من وزن السجائر.. يمكنه الاستفادة من ذلك للبيع من جديد... فما عليه إلا محاولة بيع مواد أخرى مثل المواد المرطبة ومواد مبيضة للرماد ومواد معجلة للاحتراق ومواد حافظة لاصقة وغيرها من المواد التي تدخل في مجال تصنيع السّجائر. قد تصل هذه المواد إلى 1400 مادة.

منذ أن بدأ يعمل بمفرده أصبح يعتقد أكثر فأكثر بضرورة وجود السّجائر، فهي الصديقة التي تسليه وتلهيه في أثناء انتظاره لذاك الزبون المتأخر أو ذاك الزبون المحتمل، فهو يكتفي بسيجارة واحدة يتحكم فيها كما يشاء دون أن يتذمر أو يقلق، فهي أمينة سره المفضلة التي يلجأ إليها عندما يرتفع ضغطه؛ لتهوّن عليه وتنقذه.

فهي أليفة ومطيعة فلا تتمرد عليك أبداً، فهي لا تغادرك أبداً ليلاً ونهاراً، كان (أنت) عندما يواجه مدخناً مثله يتفنن في التدخين على طريقة (كلينت إستوود)، هذا ما قاله له أحد الزملاء يوماً من الأيام، وهو غير موافق على ذلك؛ لأنه لا يحسن التمثيل مثل إستوود.

لقد حرضه صاحب الشركة على متابعة التّدخين، فقبل ذلك دون تردد، كان ذلك سهلاً، وما شجعه أكثر هو الشركة الصانعة التي تزوده مجاناً بكميات هائلة من

السّجائر، فهو يدخن ويستهلك مجاناً مواد سكرية من إنتاج شركته مثل السكر والكاكاو والسّوس، كل هذه المواد تشجعه وتوحي إليه أن السجائر غير مضرة، فهو يرى في السيجارة مصاصة من الحلوى محسّنة.

خلال السنة تأقلم (أنت) على اليورو؛ فالعملة الأمريكية بلغت ذروتها من الوقاحة، فأصبح التطلع إلى أوربا من الضروريات؛ لذا فغالباً ما يستمع إلى الراديو وهو بالسيارة للاطلاع أكثر فأكثر، فأصبح يتساءل مثلاً لماذا يقال: إن قنبلة ذكية ضربت بغداد وتوصف القنبلة نفسها بالغبية والمجرمة عندما تضرب غروزني؟ في هذه الأثناء تنشر الهند خبر بلوغها المليار نسمة دون ضجة تذكر، بينما الإسلام أصبح الطرف المتهم بإشعال الفتنة في العالم. شهدت سنة 1999م رحيل الملك المتزن حسين وملك المغرب الحسن الثاني، تأثر (أنت) برحيل هيلموت كول؛ لأنه كان يعدّه من أعظم رجال القرن العشرين، فبدونه ربما كان من المستحيل أن يسقط جدار برلين.

بخصوص عيد ذكرى المسيح السنوي جاءت حمامتان بريتان؛ لتخبرنا أمام الوالدين أن فلورانس سيتم نقلها؛ لتعمل على بعد 16 كلم من المصنع الذي يعمل به زوجها؛ لذا اتفقوا على البحث عن سكن بداية من أول يونيو، ورسوم القروض في هذه المدة ضعيفة جداً، وهذا سوف يكون حافزاً للزوجين؛ لكي يقتنيا قرضاً يسدان به حاجتهما، وقد تم بالفعل منحهما قرضاً بشروط سهلة ومناسبة. قضى الزوجان عطلة آخر سنة 2000م في أرقى المطاعم مع مجموعة من الأصدقاء.

- قالت إحدى الحاضرات بشيء من الخبث: ألا أزعجكم إذا امتنعت عن التّدخين؟

- وقال آخر: أما أنا، فقد قررت أن أتوقف عن التّدخين.

- أجابه: (أنت) أنت لا تدخن أصلاً.

- لهذا قررت ألا أدخن أبداً، وأنا متأكد من النجاح!.

فهم أنت أنه يجب عليه التقليل من التّدخين خلال تلك السهرة، غضب وهو يشعل سيجارة، حتى إنه أشعلها من جهة الفلتر مما تسبب في احتراقه، لا تعليق

لفلوراسن على ذلك، أما أصدقاؤه فقد عبّروا له وبكل خبث عن انزعاجهم من التّدخين وعن عدم رضاهم عن تلويثهم بدخانه.

حلت السنة الجديدة وحل معها قرن جديد وألفية جديدة على أحسن ما يرام: سنة الحب والزواج والعمل والصحة، في الأشهر الأخيرة من السنة كان الحصول على سكن ليس من الأمور السهلة، وبحلول السنة الجديدة تيسرت الأمور وأصبح السكن متوافراً للجميع.

من حظ (أنت) أن مصنع السّجائر يوفر له السّجائر، علباً تحتوي على 25 سيجارة.. تفاجأ (أنت) أنه أصبح يدخن 50 سيجارة بعد أن كان يدخن 40، فأدرك أن هذا الرقم غير معقول وأن السّجائر بدأت تأخذ من وقته أكثر مما يكرسه لزوجته، لكنه كان يعتقد من جهة أخرى أن هذا ضروري.. كيف يمكن له أخذ مواعيد مع الزبائن دون زيارته المفضلة للمكان الذي خصص للتدخين بالشركة؟ كيف كان بإمكانه قهر الزمن وهو يقطع الطرقات للوصول إلى الزبائن؟ كيف كان بإمكانه الصبر في أثناء جلسات الانتظار لمقابلة الزبائن؟ وكيف كان بإمكانه التركيز لإعداد تقاريره لولا السجائر؟ كيف يمكن التعبير عن سعادته وفرحته بدونها؟ وكيف كان بإمكانه الصمود أمام الإخفاقات دونها أيضاً؟ فهي ضرورية وحاضرة عند الاستيقاظ من النوم وبعد الأكل بصفة خاصة، فهي لا تكل ولا تمل طوال النهار، كيف يتصرف غير المدخّن في هذه الحالات، فهذا لا يهمه، فهو يعي تماماً أن السّجائر تسيطر عليه وله إحساس مزدوج: رضا وعدم الرضا في الوقت نفسه.

كان بإمكان (أنت) إيقاف التدخين لو سمع نصيحة والده، فالمسألة ليست مسألة تكلفة؛ لأن الشركة الصانعة توفر له ما يحتاجه من هذه المادة السامة، على سبيل التسلية قام (أنت) بعملية حسابية استنتج من خلالها ما استهلكه والده خلال مدة تدخينه، فبلغت التكاليف 70.000 دولار، وهذا نصف المبلغ الذي اقترضه قبل أيام من البنك، استنتج أيضاً أنه لو استمر في التّدخين مثل والده لبلع 27 كلم من السّجائر، صدم من هذه النتائج، وبالرغم من ذلك ضحك من هذه النتيجة المرعبة،

كان كل همه ألا تقوم فلورانس بالحسابات نفسها وتكتشف أمره، في اليوم الآتي استيقظ مضطرباً لقد كان يحلم، ولم يفهم من هذا الكابوس إلا أنه توقف عن التّدخين، جاء هذا الكابوس لينضم إلى فلورانس في حملتها ضد التّدخين، زيادة على ذلك فالكل لا يتكلم اليوم إلا عن خطورة التّدخين ومضراته، كان يجد في كل هذا إزعاجاً وعدم راحة، فمن قال له يوماً ما إن التدخين علاج بواسطة الأعشاب؟ بالرغم من هذا كان كل همه أن يبيع كميات كبيرة من الخمسين عشبة المصنعة في شركته والتي تباع إلى شركات التبع، يتساءل أحياناً حول خطورة السيجارة، فيقول في داخله: لو كانت السجائر فعلاً خطيرة لمنعتها الدولة من السوق. كل مدخن يقابله يوحي إليه ويؤكد له أن التّدخين عملية ممتعة، لو لم يكن ذلك صحيحاً لما تمسك به، في أثناء ذلك كان يفكر في تلك الرسائل الحقيرة. كل شيء في وقته كما يقول المثل، فاليوم سوف يدخن وغداً سنرى، فهو لا ينقطع عن التّدخين إلا في المساء عند عودته إلى البيت. فكل شيء يوحي من خلال تصرفه هذا أنه على صواب ويوحي في الوقت نفسه أنه يجهل أو يتجاهل الحياة الواقعية كما يتجاهل أخطاءه وعدم رؤية خطورة الوضع الذي يعيشه.

لقد قامت فلورانس قبل الزواج بتأنيبه من جديد، قائلة له: انظر إلى السيجارة، وكأنها مسدس مسلّط عليك، وبه ثلاث طلقات، هناك فرصة نجاة واحدة من بين الثلاثة، انزعج كثيراً من كلامها وهي تقول له: أنا لا أرغب ولا أريد خسارتك، ماذا تريد أن تثبت من خلال التّدخين؟ كان لكل ذلك وقع الجبل عليه؛ فقد كاد يقع في غيبوبة.. لمدة ساعة كاملة.

بمناسبة عيد ميلاده الواحد والعشرين كان من الأفضل له اكتشاف ما يأتي خلال اليوم العالمي دون تدخين: (الدخان قاتل، فلا تخادع نفسك).

- قال وهو يبرم سيجارة: كل العالم أصبح يعي ذلك، وتابع: (أتظنون أنككم بتخويفكم لي سوف تثنوني عن التّدخين؟).

كان منزعجاً للغاية وانزعاجه هذا مرتبط بما حققه من نتائج إيجابية لدى شركة تصنيع السّجائر، لقد استطاع بيع كمية كبيرة من مادة الجليسرين وحمض الأستون ومادة الإثيلين (3 و5 و6) ومادة الميتوكسيبيرازين، من خلال هذه الصفقة حقق ما يكفي لتغطية ما هو مطلوب منه سنوياً.

قام الخطيبان بالإعداد الجيد لزفافهما المنتظر بتاريخ 17 يونيو سنة 2000م الساعة التاسعة والنصف للزواج المدني، والساعة العاشرة وأربعون دقيقة للزواج الشرعي بالكنيسة، تم الزواج وتم فعلياً، كانت سعادتهما لا توصف، كان الزوج ينتظر هذه الإجراءات بفارغ الصبر؛ لكي يعود إلى معشوقته الثانية السيجارة.

# الفصل 19

كان آدباتريس يجلس في الصالون في الدور الثاني من اليخت، فهو يحلم في إحدى محاضراته مع المستثمرين حيث وضّح لهم في أثناء هذه المحاضرة بعض الأحداث بالإضافة إلى بعض النتائج المهمة؛ ليخفف من مطالبهم المتزايدة ويطلعهم على الطريق الذي تسكله الشركة، فكأنه يذكرهم أن برومورتيم ليس المنتج الأكبر في العالم، فالصين هي المنتج الأكبر في العالم حيث تنتج ضعف ما ينتجه برومورتيم، إذ الإنتاج العالمي يقدر بـ 560 مليار سيجارة سنوياً مما يعادل أقل من 3 سجائر يومياً لكل ساكن، تعد هذه الكمية قليلة، لكنها تدر دخلاً هائلاً بشرط كتم أفواه أولئك المتربصين بشركات تصنيع السّجائر.

في التسعينيات تم التخلص من الشركات المحتكرة للسوق الداخلية، بذل آدباتريس مجهوداً كبيراً للسيطرة على السوق الغربية. من قبل كان الناس يقولون في تشيكستان: أعطني سيجارة، أما اليوم فأصبحوا يقولون: أعطني أمريكية، فبرومورتيم استطاع غزو أوربا الشرقية وإفريقيا والشرق الأدنى.

كان العالم كله يجري وراء العولمة، لكن برومورتيم سبقهم واستغل ذلك جيداً، لقد وعد بإدخال تعديلات حديثة على مصانعه والمحافظة على الحد الأعلى من العمال والموظفين، مقابل ذلك حصل على مزايا مهمة، كزيادة الاستثمارات وتخفيف الضرائب، بدا برومورتيم في رأي الكثير أنه الرجل المنقذ ودون رشوة أحياناً، وفى بوعده وطوّر

المصانع خاصة تلك التي تقوم بتصنيع نوعية (PM) التي تتميز عن النوعيات الأخرى في العالم، بعد بلوغ الهدف والهيمنة على السوق يقوم بإغلاق المصانع لإعادة فتحها في دول أخرى متفهمة أكثر فأكثر، وبهذه السياسة قضى بروموريتيم على الكثير من المنتجين المحليين في الدول الشيوعية ما عدا روسيا التي حافظت على 90٪ من سوقها، محققة أرباحاً تفوق الميزانية المخصصة لمكافحة التّدخين.

تتميز سوق السّجائر بوجود القليل من المسؤولين الكبار، آدباتريس لا يثق إلا في أقرب أصدقائه الذين ينتمون إلى فئة كبار المافيا مثله، منذ سنة 1953م تم إنشاء نادٍ هو عبارة عن محمية أو بعبارة أخرى نقابة تتولى الدفاع عن مليار ومئة مليون مدخن من هؤلاء الأشرار الذين يريدون سلب حقهم في التّدخين، وتم تطوير هذا النادي سنة 1997م ليصبح أكثر قوة، وليصبح المنبر الذي من خلاله يتكلم صاحب المصلحة وبلغة واثقة، فهو يعتبر كما ردَّد في عدة مناسبات من قبل أن التّدخين اختيار شخصي لا دخل للآخرين فيه، وما دور الشركة إلا تلبية طلب هؤلاء المدخّنين، تلك هي روايتهم المعهودة.

السلطات المعنية بصحة المواطن تقوم من حين إلى آخر بمضايقة هذه الشركات المجردة من الأخلاق، فيقوم بوادر وأنتوكس وجوركا بالدفاع عن مصالح شركتهم، وذلك بإجراء المناظرات ونفي أي علاقة للتبغ بمرض المدخّنين، فهم يقومون من خلال ذلك بدس الثعلب في حظيرة الدجاج كما يقولون، لقد قرر النادي إصدار قانون خاص بحسن السيرة وحسن السلوك، قانون يمنع اتهام السّجائر بأنها سامة، كما يمنع وصف النيكوتين بالمادة المخدرة، فالقانون يعتبر ذلك بدعة، إذ ضحايا التّدخين هم من الشباب والحريم والجاليات الأقلية، وشركات التبغ تقوم بتقوية ثلاثة ميادين لغزو هؤلاء الضحايا، وهي: التسويق، والدعاية، والوسائل القانونية.

أما بالنسبة لموقفها تجاه الحكومات، فهي تركز سياستها الخاصة على الضرائب، وتشجيع المهربين والاحتفاظ بالدول التي تعفيهم من الضرائب، وتنمي عمليات تبييض الأموال التي هي إحدى تخصصاتهم الخادعة.

ومن بين مهامهم تمويل حملات اللوبي الذي يسهر على الدفاع عنهم، هذه الواجهة المحترمة تساعدهم في التصدي لمن يعترض سبيلهم، باعتبارهم أناساً أشرافاً ينتجون مواد غير مضرة تخضع للقانون ولا يتجرأ أحد حالياً على المساس بمصالحهم، ومن ضمن المهام الأخرى لهذا النادي تطوير تجارة السّجائر عبر الإنترنت وتعطيل أي زيادة في الضرائب، بالإضافة إلى عمليات التشويش ضد أعداء الشركة.

صناعة التبغ لها أعداؤها، وهم مدخنون قدامى يتمتعون بصحة جيدة وآخرون على وشك الموت، وأطباء وجمعيات من كل الأشكال بما فيها المؤسسات الحكومية، وتلك التابعة للأمم المتحدة.

يتم التعامل معها كلها بحذر، آخر مهمة من مهمات النادي الاهتمام بوسائل الإعلام التي يجب التعامل معها بكل الطرق لكسب ودها، حتى لو تم استخدام بعض الوسائل المخادعة لم لا؟

في سنة 1973م كان آدباتريس قد رفض إعطاء أي معلومات حول المواد المضافة في تصنيع السّجائر، بالإضافة إلى معلومات حول مبيعات الشركة.

لكن زملاءه بحثوا ووجدوا الإجابة لإقناع مستجوبيه. زميل آخر رفض إعطاء أي معلومات حول المادة التي تسمح للمدخن بامتصاص مادة النيكوتين بسرعة، يشمل النادي سبعة أقسام كلها مجندة للدفاع عن مصالح الشركة والتصدي إلى أعدائها بتوحيد جهود الأقسام السبعة، ويشمل دفاعهم المحافظة على الأسعار والسلطة المستهدفة من قبل الأعداء. وهذه المهمة ليست سهلة أمام تحديات منظمة الصحة الدولية التي تتهم شركات التبغ بقتل 4.9 مليون شخص سنوياً بمعدل شخص كل ست ثوان ونصف الثانية، وقد يرتفع هذا العدد في المستقبل إلى 10 ملايين سنوياً وإلى مليار آخر القرن، هذه الأرقام أزعجت آدباتريس، إذ من المفروض أن يفرح؛ لأن 15٪ من سكان العالم سوف ينتقلون إلى العالم الآخر.

المصنعون يواجهون متاعب كثيرة، منها التهديد والعدالة وحتى الأحكام القاسية، فسكان العالم في زيادة مستمرة، فمن غير السّجائر يستطيع تحقيق التوازن في هذه الزيادات الخطيرة؟ الأكل السريع يلعب دوراً مهماً في تحقيق هذا التوازن، لكنه يبقى دوره ضعيفاً مقارنة بدور السّجائر التي تقتل عشرة أضعاف ما يقتله مرض الإيدز (السيدا) بأوربا وحوادث المرور مجتمعة، أما إفريقيا الآهلة بالسكان فالإيدز والسّجائر يتنافسان من يقتل الأكثر؟! باعتبارهم أحسن الزبائن، وقد سمحت الدول الإفريقية للشركة بالتوسع، فرؤساء الدول الأفريقية طيبون ومتعاونون، أما الجمارك فهي حديثة العهد ومتعاونة أيضاً، وآدباتريس يستحق جائزة نوبل على عمله الدؤوب في تنقية البشرية، بدلاً من ذلك وصفوه بالخبير الدولي في القتل والإجرام، وزملاؤه أيضاً ينعتونهم بكل الأوصاف الدنيئة، وخاصة في الدول التي تدر عليها السّجائر دخلاً مرموقاً، تناست هذه الدول الخدمات المقدمة لها من شركات السّجائر التي تخلصها من الكثير من المتقاعدين من جراء موتهم بالتّدخين كما يقولون.

أما بخصوص أولئك الذين يدَّعون أن السّجائر تسهم في فقر الناس وبؤسهم، فيجب تذكيرهم بأن ميدالية ذات وجهين لا يمكن أن تسمح لبعضهم بالفرح لتخلص البشرية من جزء منها وبعضهم الآخر بالتذمر من الأمراض التي تتسبب فيها السّجائر في آن واحد، إما هذا أو ذاك. فلا يمكن محاسبة مصانع السّجائر على أنها تريد المضرة للناس، فهي لا تحلم بتقليص عمر المدخّنين بل تقوم بذلك فعلاً وتخلص البشرية من شخص في مدة أقصاها قراءة سطر على أمل أن يتم تعويضه لاحقاً، لا يزال آدباتريس يحلم حتى رأى بحاراً مسلحاً يحمل هاتفاً خلوياً. دوبوا أحد رجال الصحافة المفترسين طلب إجراء مقابلة، فأعطي موعداً صباح الغد على الساعة الحادية عشرة.

بروموتيم يعرف كيف يستقبل زواره، سوف يرسل زورقاً فخماً لاستقباله في الشاطئ ثم نقله إلى اليخت، الاستقبالات في هذه الساعة هي عبارة عن دعوة على الغداء وبداية التنازلات، لا يرى مانعاً من إجراء المقابلة في هذه الساعة، تم

استقباله من طرف رجاله الساهرين على سلامة اليخت والمافيه بالإضافة إلى كابتن اليخت وطاقمه بالكامل. تم تقديمه إلى صاحب اليخت، (جي دوبوا) وهو رياضي سابق ومدخن محنك أيضاً، وقد ترك التّدخين منذ مدة، شكله وقبضة يده ونظراته الشرسة توحي بأنه مستعد للقتال في أي لحظة، آدباتريس يحب هذا النوع من الرجال، فذلك أحسن من هؤلاء الرجال الذين يقبلون أي شيء وفي أي لحظة، ولا يحب المتساهلين؛ لذلك لا يحب المدخّنين أيضاً.

كان دوبوا على علم بالاستقبال الجاد الذي أعد له، لم يسبقه أحد من الصحافيين في ركوب هذا اليخت، هذا اليخت الذي يبلغ طوله 75 متراً، فهو معتاد على استقبال رجال الأعمال الكبار له، لكن استقبال آدباتريس له يشعره بتجمد في دمه، بعد مقدمات بسيطة شرح له دون أي رهبة أن تطور أحوال البورصة هذه الأيام هو الذي دعا جريدته أن تطلب منه كتابة دراسة حول صناعة السّجائر والمستثمرين الذين يسهمون في ازدهارها، اغتنم آدباتريس الفرصة؛ ليطمئن السوق بالإفصاح عن بعض أكاذيبه وألاعيبه، ودار الحور الآتي:

- أنا أصغي إليك.

- سعادة السيد آدباتريس ما هي العناصر الأساسية التي ضمنت نجاحكم العالمي؟

- سوف أطلعك على خمسة منها: خبرتنا القديمة، والتسويق الجيد، والدعاية، والتطور والمحتويات الكيميائية، وأخيراً التخلص من احتكار السوق، أما بالنسبة للخبرة فشركة بورمورتيم تم إنشاؤها منذ أكثر من قرن ونصف القرن، قرن ونصف من المجهود والبحوث والتحسينات المستمرة، تحسينات النوعية والطعم، كل ذلك من أجل إرضاء الزبائن؛ فالزبائن في زيادة مستمرة، أما بخصوص التسويق فهو قوي ومنافس، وهو العنصر الأبرز في الشركة، لا أخفي عليك شيئاً وأنت تعلم أكثر من غيرك أن التسويق في ميدان السّجائر يختلف عن أي مادة أخرى، وأنه يعد استثماراً

في حد ذاته، وخاصة على المدى البعيد، فمهمته هي إعطاء دفعة قوية إلى الضغط المسلط على المدخّنين لتحفيزهم على التّدخين أكثر، فعملية التسويق لا تحرض على البيع، لكنها ترغب في التأثير أكثر فأكثر على الوسط الاجتماعي والثقافي حيال منتجاتها، لا أذكرك أنه خارج الصين سيجارة من 6 هي سيجارة برومورتيم، والمدخّنون البالغون من العمر بين 24 سنة و50 مدخنون لسجائرنا أيضاً، هذه أرقام تم استنتاجها في أحسن الجامعات، فبعض منها كتبت أن كل مولود جديد في العالم يعد ميكنة نقود محتملة، فالدعاية والتطوير يُعدّان الشق الثالث من هذه العناصر، وتصرف الشركة على الدعاية والتطوير أكثر من 11 مليار سنوياً، فالعديد من القوانين تضيق علينا المجال في هذا الميدان، فنواجهها بعمليات تحفيزية، وأنا أفخر وأعتز بما سوف أقوله لك:

– بالرغم من أن الميزانية بقيت ثابتة إلا أن النتائج بقيت أيضاً ثابتة، وعدم وجود الدعاية لا يخدم مصالحنا، لكنه لا يشكل مأساة مالية ولا صناعية. نحن نستعمل وسائلنا المعتادة لجذب الزبائن، مستعينين في ذلك بشجاعتنا وإقدامنا ومغامرتنا وحب الإنتاج والرياضة (مثل الفورميولاون) والأشياء الغريبة والفريدة من نوعها، بالإضافة إلى الطبيعة، شعارنا أخاذ ومتزن وحديث ويعبر عن الحضارة الغربية البحتة، فهو مبني على البحث عن اللذة الفورية وضد أي تهرب مثل ما يدعي أعداء التّدخين الذين لا يتجرؤون على التمتع بسيجارة لذيذة، أما السبب الرابع في هذا النجاح فهو التركيبة الكيميائية لسجائرنا، فكل العالم يعرف مذاق سجائر بروتورتيم، فسجائرنا تحتوي على 600 مركب بموافقة السلطات المعنية، من بين هذه كثير من المواد الطبيعية أو مواد ذات استهلاك عادي ويومي، ما أمامك ليس تلميذاً لمكيافيل، كل هذه الإضافات لا نريد منها إلا المظهر والمذاق وانسجامنا مع السوق، وخاصة الجديدة منها، وتتميز من هذه المواد مادة الأمونيا بمذاقها اللذيذ ومادة الأمونيا موجودة أصلاً في نبات التبغ.

فقال دوبوا، متسائلاً: أيتهمون هذه المادة باحتوائها على مادة النيكوتين؟

هذا هراء مثل ما قلته لك من قبل، أوراق التبغ نفسها تحتوي على مادة النيكوتين، ونحن نضيف هذه المادة لتحسين المذاق.

أما كمية النيكوتين، فلا يحدث عليها أي تغير، لعلمك فكل منتجنا يخضع لفحوصات في مخابر خارجية ومعتمدة من السلطات المعنية وفقاً لقوانين معتمدة كما يأتي: 3308 - 3400 - 3837 - 7210 - 8454 - 10315 - 10362-1 - 10362-2 - المطبقة في جميع أنحاء العالم، وأغتنم هذه الفرصة للإجابة عن سؤالكم بخصوص مادة حمض السيانيدريك، فكل ما قيل بخصوصها كذب وافتراء، وقراؤك يعرفون ذلك، لعلمك أيضاً أننا نقتني موادنا المضافة بعناية فائقة، كما نقوم بمراقبة منتجي التبغ وكيفية تجفيف تبغهم، كما نقوم بمراقبة كل مراحل الإنتاج، فالمدخّن لا يعرف أن سجارته عبارة عن مصنع مصغر صنع خصيصاً من أجله.

- وماهي قصة التخلص من المحتكرين؟

هذا هو العنصر الرابع الذي أسهم في نجاحنا، فكل الشعوب التي تحررت من الاستعمار حديثاً ترغب في التعرف على عالمنا الغربي وفضائنا وقيمنا ونحن سعداء بذلك، ثم جاء تحرير التجارة العالمية في العشرية الأخيرة من التسعينيات، ليتغير كل شيء، فاختلطت الأوراق، كل الأسواق مفتوحة الآن، بينما من قبل كانت الحكومات تحتكر كل شيء، وبعد فتح الأسواق قمنا بإدخال الاستثمارات إلى هذه الأسواق كما قمنا بترتيب المصانع وتحديثها وتوظيف الكثيرين فيها حتى ازدهرت السوق وأصبحت واجهة من واجهات هذه البلدان، ففي تركيا مثلاً كانت الدولة تحتكر سوق السّجائر بالكامل، أما اليوم فلم يبق من ذلك إلا 60٪ من السوق، من سنة 1990م إلى 2000م أسهمنا في زيادة عدد المدخّنين بنسبة 50٪ ولكي نشكر الحكومة التركية على تعاونها ونعوضها عن هجرة مزارعي التبغ من الريف إلى المدينة قمنا بتمويل مشروع كبير في البحث عن الآثار.

- وما هي مدخولاتكم بعد هذا الانفتاح؟

- خلال عشر سنوات بقيت مبيعاتنا الداخلية كما هي، ولكنها تضاعفت دولياً والفائدة أيضاً، إذ قفزت هذه الفائدة من 800 مليون دولار إلى خمسة مليارات سنوياً، وقد ترتفع إلى 7 مليارات في المستقبل القريب، وهذا الرقم سوف يجعل من شركتنا الرابعة دولياً من ناحية المردود، نود أن يتوصل العديد من الدول إلى الاستهلاك السنوي البولندي، أي 3620 سيجارة سنوياً لكل ساكن. ولكي أكون صريحاً معك فهناك من الدول من خيب آمالنا، ففنلندا مثلاً لا تشمل إلا 25٪ من المدخّنين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة، أما كندا فيجب الاكتفاء بما تيسر أي 15٪ فقط.

- وهل تعتقدون أن أرباحكم الطائلة هذه سوف تضطرب مستقبلاً؟

- سوف تزداد وتتضخم، تصور أنه من بين المليار ومئة مليون مدخن، ثلث هؤلاء المدخّنين لهم من العمر 15 سنة فقط، هذه حالة فريدة من نوعها سوف تفتح لنا كما ترى آفاقاً كبيرة ألا تصدق؟

- ما هي حصة العالم الثالث من هؤلاء المدخّنين؟

- حوالي 800 مليون أي ما يعادل 73٪ من المجموع.

- ولكن 73٪ من أرباحكم تأتي من هذه البلدان الفقيرة غير القادرة على سداد ديونها أليس في ذلك مغامرة بالنسبة لشركتكم؟

- مغامرة كبيرة جداً!

- لا، لا يا سيد دوبوا؛ لأنه مهما كانت أساليب التوزيع، فمبيعاتنا مضمونة ولا تتعرض لأي خطر وفوائدها مضمونة أيضاً.

ليس هنالك أي خطر أبداً، أما المدخّنون فمهما كان فقرهم فهم دائماً يحصلون على ما يمكّنهم من شراء علبة أو علبتين في اليوم، وفي هذه البلدان بالذات يمكنك شراء سجائرنا في كل الشوارع وبالواحدة إذا أردت، للعلم فإننا نقدم مساعدات هائلة لهؤلاء الباعة المتجولين، فلولانا لانتهى كثيرون منهم في قبضة التسول.

في الخمسينيات كانت السّجائر تسيطر على الشارع، حيث كان 70٪ من السكان يدخنون.

- هذا غير صحيح وغير صحيح على الإطلاق، أنت ضحية ادعاءات كاذبة ومعلومات مزيفة، أنت تعرف أننا ندلل الشباب، والدليل على ذلك أن قليلين من الناس يبدؤون التّدخين وهم كبار السن، هؤلاء الشباب لا يلتفتون إلى أولئك المعارضين للتدخين؛ لأنه من جهة فهؤلاء يخاطبونهم بلغة لا تتماشى مع سنهم، ومن جهة أخرى فهذه المطالب لا ترتقي إلى طموحهم، فالدراسات والأبحاث تشير إلى أن عدد صغار السن من المدخّنين أصبح يتلاشى شيئاً فشيئاً، فقد أصبح لا يتجاوز 11.4٪ حالياً، في هذا العمر لا يمكن التأثير عليهم كثيراً، أنت تعرف أيضاً أن أي شاب يبدأ التّدخين مبكراً هناك احتمال كبير أن يبقى مدخناً بقية حياته، زد على ذلك، فالبنات يحظين باهتمامنا أيضاً، ونحن نكن لهن كل الرضا والعرفان للمساهمة في ازدهار أعمالنا، فخلال ثماني سنوات قفز معدل المدخّنات من 8 إلى 30٪. ما هي التجارة التي يمكن أن تفتح لك آفاقاً مثل هذه؟ لقد فهمنا قبل الأطباء أن البنات أشد قلقاً من الأولاد، فقمنا بعمل اللازم لإرضائهن وإسعادهن والنتائج كما تراها، هناك أكثر من 200 مليون مدخنة حول العالم، نحن نعرف كيف نرضي المراهقين وكيف نحافظ على استقلاليتهم، دراساتنا واضحة في هذا المجال، حتى إن العديد من الأساتذة الكبار وعلماء علم النفس يحسدوننا على ذلك، بالنسبة لنا لا فرق بين الأولاد والبنات، فمبدؤنا هو المساواة بين الجميع، ومعادلتنا في ذلك هي مساواة = مبيعات أكثر = أرباح أكثر.

- وبهذه الطريقة ضمنتم لهن الرشاقة الدائمة.

- هذا صحيح، هل تتذكر شعارنا الذي يقول: تدخين سيجارة أفضل من تناول حبة حلاوة، كل المدخّنات يعرفن كم نحن حريصون على رشاقتهن.

- كل ذلك على حساب صحتهن؟

- لا تقم بخلط الأشياء إذا كنت ترغب في متابعة الحوار.

- أنت تريد التعبير عن قلق قرائك، يجب أن يعرف هؤلاء أن أسباب التفاؤل متوافرة وكثيرة، سوف أزودك ببعض منها، في الدول التي كانت تخضع للنفوذ الشيوعي، كانت السوق تشكل 65٪ من المدخّنين بالرغم من احتكار الدولة آنذاك للسوق، وبالرغم من زهد الأسعار وضعف المستوى الدراسي والتشاؤم الدائم المخيم على هذه الدول وندرة الفرص، كل هذا أسهم في كسبنا للمعركة، هل تتصور أن هذه الدول بالرغم من كل ما تقدم ذكره كانت تشكل احتياطاً كبيراً لنا ومصدراً مهما لأرباحنا، مع أن 5٪ فقط هم من المدخّنات، إنك لا تصدق ذلك أليس كذلك؟ يجب أن تعرف أيضاً أن الفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و18 سنة مدخنون، وحتى في الولايات المتحدة ارتفعت نسبة التلاميذ المدخّنين في المدارس من 28٪ إلى 36٪ خلال ست سنوات، بالرغم من كل العراقيل التي اعترضت مسيرتنا.

- طبعاً كل هذا بسبب الإجراءات والقوانين الصارمة ومنع الدعاية والمتابعة القضائية وغير ذلك.

- ليكن ذلك صحيحاً، ماذا تريد الولايات المتحدة منا؟ وماذا نريد نحن منها؟ مثلاً: منع بيع السّجائر إلى فئة 13-18 سنة هذا من صالحنا، فهذا ما يزيد في إصرار هذه الفئة على التّدخين، موافقتنا على هذا المبدأ سوف تزيد من فرصتنا وسوف تزيد من تمرد هذه الفئة على الآباء وعلى السلطة، فالشباب يجدون متعة في هذا التحدي، ونحن أيضاً نشاركهم هذه المتعة، أما منع الدعاية فهذا لا يقلقنا. وتصوراتنا لا تنفد. أتتذكر أن أكبر محارب للتدخين هو هتلر الذي قاوم التّدخين بحملاته العلنية سنة 1939م فالمجهود الذي بذله خلال ست سنوات ضاعف المدخنين خلال سنة. العديد من الدول مضطربة عقلياً ونفسياً، فهم يريدون من جهة الكسب الكثير (82٪ في الدنمارك) والمحافظة على صحة مواطنيهم من جهة أخرى، بعض هذه الدول توصلت إلى تخفيض نسبة المدخّنين ومضاعفة

دخلهم في الوقت نفسه، الحمد لله أن هناك الكثير من رؤساء الدول الأذكياء الذين لا يريدون المساس بحرية المدخّنين، من بين هؤلاء مرغاريت تاتشر وهيلموت كول، الأولى كانت من أنصارنا واستطعنا الاطمئنان على خدماتها لنا، كل ذلك له مقابل بالطبع، مليون دولار كل ثلاث سنوات، هذا مبلغ لا يستهان به، وهذا يعد من استثماراتنا الجيدة، أما الثاني فقد تم تسميته يوماً من الأيام (كولبورو)، لم أعرف بعد لماذا سُمِّي بهذا الاسم؟ أتعرف أننا نعدّ ذلك تدخلاً سافراً في تصرف الأشخاص؟

- لهذا قام اللوبي البلجيكي المناصر لكم بالتهجم على جاك دولور رئيس اللجنة الخاصة بالتّدخين وهدده بالضرب، ثم قام بحملة فيما بعد ضده وضد كل المؤسسات الأوربية.

- لنقل: إنها فعلاً مبالغة منه، لا تنس أنه لنا ثقل كبير في الاقتصاد بالوظائف التي نوفرها للعديد من الناس.

- عن أي وظائف تتحدثون، وأنتم تقومون بتحديث كل شيء واستعمال الحاسب الآلي والروبوتات لإنجاز العمل، وتغلقون مصانع هنا وهناك؟

- ما هو المصنع الذي لا يستعين بهذه الأجهزة؟ أنت تعرف أن مصانع تنتج 14.000 سيجارة في الدقيقة فأكثر يجبر أصحابها على غلق مصانع قديمة في بلدان لا تحظى باهتمامنا كثيراً. لنرجع إلى السوق الأوربية المشتركة بما أنك تحدثت عنها، أتعرف أنها تخصص 976 مليون يورو لمساعدة المزارعين على إنتاج التبغ، بينما تخصص 1.3 مليون يورو لمكافحة التّدخين؟ فأنا أتلذذ فعلاً بهذه المفارقة وأجد فيها متعة، نحن نجتهد أكثر للدفاع عن غير المدخّنين، فمن يريد أن يتصف بأخلاق حسنة فليبدأ بنفسه، أما بالنسبة لنا فنحن نستغل أي خلل داخل قوانين الدول، فنحن لا نقوم بكتابة هذه القوانين، ولا بإعدادها فنحن نتهرب منها ونلف حولها فقط.

- وهل تشاركون في إعدادها أحياناً؟

- نحن نقوم فقط بإحاطة رجال القرار الأخير بالجوانب الخفية من الموضوع.

- وماذا حول منع السّجائر التي تحمل علامة لايت؟

- هي زوبعة في فنجان؛ لأن الباحثين الكميائيين لدينا وجدوا منذ زمن البديل، إنها سيجارة تحتوي على القليل من مادة النتروزامين. فهمّنا الوحيد هو تلبية الطلب وإرضاء المستهلكين، كل مصنّع متفتح لابد له أن يسبق غيره في ابتكار الحلول.

- لماذا لم نرَ هذه السيجارة في السوق حتى هذه اللحظة؟

- من يطلبها؟

- ماذا سوف تكون إجابتكم حين ينعتكم الناس بـ(مارمور)؟ أو بمعنى آخر (بائع دولي للموت) وما هي إجابتكم عندما يقوم الناس باتهام شركتكم بقتل 4.9 مليون مدخن سنوياً؟

- وقتلكم مستقبلاً مليار إنسان في نهاية القرن الحالي؟

- أنت صحافي وتعرف أن أحد المصنعين للأدوية يريد تصنيع مادة النيكوتين وتسويقها بدلاً منا.

- لنفترض ذلك، ولكن القراء والمستثمرين يتساءلون اليوم حول كل ما يقال، وخاصة حول ما يقال بخصوص التّدخين السلبي.

- لقد أصبح التّدخين ممنوعاً بالطائرات، وحتى القطارات أصبح التّدخين فيها عملة نادرة، وكذلك في الشركات والمؤسسات، فهذا يمس العديد من السّجائر التي لا تُدخَّنُ، وقد يؤثر سلبياً على مبيعاتكم وفوائدكم على المدى البعيد.

- هذا هراء، ملاحظتك هذه تخص بعض الدول فقط، إنها دول يقتصر التّدخين فيها على بعض الشبان فقط، ولكن العديد من الدول لا تتساءل عن هذا الموضوع

الذي يهتم به الأغبياء فقط، ليكن في علمك أن الشاب غالباً ما يجري وراء ما هو محروم منه، زبائننا مدربون تدريباً جيداً، وأقول لك أكثر من ذلك: كثيرٌ من أعدائنا يستفزون الشباب، وهم يدخنون في العلن في الشوارع.

- وبأي وسائل يستفزونهم؟ ربما برادارات خاصة تم تعميمها بالشوارع، فهذا أيضاً ستكون نهايته الفشل، بالمناسبة بخصوص التّدخين السلبي أقوله وأردده مثل ما قلت من قبل: حسب دراساتنا، فإن التّدخين السلبي لا يضر أكثر مما يضر أكل بسكويت أو شرب كأس من الحليب، إن من يعتمد على هذه الادعاءات يجب متابعته قضائياً ومعاقبته على التفرقة بين المدخن وغير المدخن، فهذه فضيحة وعار.

- ولكن..

- إذا استمررت في عنادك، فسوف تعود من حيث أتيت سباحة...

- إذن أنت واثق أن المستثمرين بالشركة سوف يستمرون في الثقة بك وفي الثقة بمستقبل الشركة؟

- لقد فهمت كل شيء، ثم أضاف (جوركا) على ذلك، بما أن الزبائن ملوا من دفع الضرائب على السّجائر، فهم يشترونها أكثر فأكثر من الإنترنت وبنصف السعر، من قبل كان بعض الناس يجمعون بقايا السّجائر ويفرغونها من محتواها ثم يقومون بتصنيع سجائر بإضافة لحاة الذرة وأوراق البطاطس والعديد من الأعشاب الجافة الأخرى، أما اليوم فهو عصر الإنترنت وعصر الشباب أيضاً؛ لأنه يسهّل عليهم شراء ما يحتاجونه وبأقل الأسعار.

- أما بالنسبة لنا، فهي وسيلة ناجحة للتعريف بنا وزيادة مبيعاتنا.

- بهذه الطريقة أيضاً يمكنكم معاقبة من يعارضكم بعدم البيع له.

- أنت تعرف أن عدم البيع ممنوع ويعاقب عليه، أنت لا تجهل ذلك أليس كذلك؟

- وماذا حول حماية المراهقين غير البالغين؟

- اسأل المعنيين بأمرهم، فلست مسؤولاً حتى أجيبك على ذلك.

- وماذا حول الضرائب في الولايات المتحدة؟

- هي حقاً سرقة؛ لأن من يجبرك على دفع 82٪ ضرائب، فهو فعلاً سارق؛ لأن كثرة الضرائب تقتل؛ فنحن لا نكف عن قول ذلك إلى الحكومات، لكن الإنترنت تقتل إذ تقوم بإثبات ذلك، أنت أيضاً يمكنك استخدامها لشراء ما يلزمك.. فلماذا لا تلجأ إلى هذه الوسيلة الناجحة، 20٪ من مبيعاتنا أصبحت تتكفل بها إنترنت.

يبدو أنه في اللحظة الأخيرة ظهرت أجهزة كمبيوتر خاصة لمنع الوصول إلى مواقع الإنترنت الخاصة ببيع السّجائر والترويج لها؟

هذا صحيح، أولاً: هذا خبر غير معروف، ثانياً: لا أعرف الكثير من الآباء الذين يريدون الإقدام على شراء هذه الأجهزة لمراقبة أبنائهم، ثالثاً: أنا لا أرى ضرورة استعمال مثل هذه الأجهزة للحد من حرية المدخنين، وبما أنك تتحدث عن المستثمرين أنت لا تجهل أن من بين كبار المستثمرين بشركتنا أكبر شركة تأمين في العالم وأكبر بنوك في العالم أيضاً، لم يكتف هؤلاء بالاستثمار في شركتنا فقط، بل اتجهوا للشركات الأخرى أيضاً، فهذا يدل على ثقتهم العمياء في صناعة السّجائر، أما المستثمرون الصغار فأغلبهم من الشيوخ، إنهم يغتنمون هذه الفرصة لجني الأرباح أيضاً.

هم من غير المدخّنين طبعاً.. أما الباقون...

إن غالبية المستثمرين، بل 95٪ منهم يوافقوننا الرأي وعدم قبول كتابة العبارة المشهورة: (الدخان مضر بالصحة)، الدخان السلبي مضر أيضاً، فنحن مقتنعون بنتائج دراساتنا حول هذا الموضوع، أذكرك أيضاً أنه منذ عشرين سنة انخفضت مبيعاتنا بنسبة 42٪ بينما زادت أرباحنا بشكل عظيم، فهذا يسمى التجارة الرابحة، أنا أكلفكم بنقل هذه المعلومة إلى قرائكم.

- وماذا حول مقاضاتكم؟

كل من يحتك في نحلة، فسوف تلسعه! سواء أكان من القطاع الخاص أم القطاع الحكومي، اسأل السوق الأوربية المشتركة، فلقد أنفقت أكثر من مئتي مليون يورو لملاحقتنا قضائياً بتهمة التهريب دولياً، كما اتهمتنا بالتهرب من الضرائب بإخفاء 2.4 مليار يورو سنوياً، لكن دعوتها رفضت، وانتهى الأمر.

قاضي التحقيق اعتذر باعتباره غير مختص في القضايا المالية والضريبية، وسوف تنتهي هذه الدعوة بمسمى آخر، ألا وهو (تبييض الأموال).

- أنت تعرف أن بروموريتيم ليست بآلة غسيل، وسوف ترى ذلك في الجلسة القادمة.

- وماذا عن الدعوة المرفوعة عليكم من قبل المدخّنين؟

- في هذه اللعبة قلائل هم الفائزون، لدي أربعة أدلة قاطعة:

أولاً: نحن لم ولن نجبر أحداً على التّدخين، ولسنا مسؤولين عن اختيارهم.

ثانياً: التعويضات المطلوبة زهيدة جداً 28 ملياراً مطلوبة كتعويض لعجوز عمرها (64) عاماً.

ثالثاً: التّدخين في حد ذاته غير خطير، ربما تكون التجهيزات الأنزيمية لبعض الأشخاص هي السبب، والدخان أيضاً لا يشكل أي خطورة، إن أردت أن تعرف أكثر فسوف أفتح لك أبواب مختبراتنا المتخصصة في هذا الميدان ولتكن هذه هديتنا لك بالمناسبة، أما الدليل الأخير فأوربا لا تعرف الأحكام الجماعية عكس ما هو معمول به في الولايات المتحدة مثلاً.

- بالرغم من ذلك، فقد تمت معاقبتكم لعدم صدقكم عمداً.

- إني أعترف أن ذلك حصل بسبب فقدان الذاكرة: فالشيخوخة تداهمنا، فمنذ 14 أبريل 1994م حيث وقفت أنا ورفقائي أمام اللجنة البرلمانية حصل تحسن طفيف على ذاكرتي.

- كانوا على وشك إيقافك في أثناء هذه الجلسة؟

- هذا غلط؛ لأن مستشارنا قد أشعرنا بذلك، حيث قال لنا: «أظن أنه سيتم إيقافكم بسبب مادة النيكوتين من هذه الناحية؛ فالقانون يحمينا في بلد ديمقراطي لا يسجن الإنسان بمجرد الظن يا سيد دوبوا».

- وهكذا تم الكشف عن 33 مليون ورقة من الأسرار أمام الرأي العام.

- ثم 5 ملايين في بريطانيا، وسوف تتمكن من القراءة بقية أيامك.

- والآن أدعوك لمشاركتي الأكل المعتاد.

- هل يمكن تمديد المقابلة لبعض الوقت، بعض الدقائق؟

- أنا أتعاطف معك بسهولة؛ لأن تعاطفي مع الإعلاميين الآخرين ليس بالهيّن.

- أنت متهم بتدمير الغابات وتعريتها للحصول على الخشب لتجفيف التبغ.

- نحن نقوم بإعادة التشجير، حتى نعوض ما تم تدميره من قبلنا في أقرب وقت.

- إن السّجائر تفوقت على الحشيش وعلى الويسكي.

- لاشك أننا تفوقنا أيضاً على من يدخل الكنيسة، لا أعرف؛ لأن هذا لا يهمني، بالنسبة لزبائننا، الحياة لها معنى خاص، فمصيرهم بأيديهم.

- أنتم متهمون أيضاً بتلويث البيئة؛ فالنفايات التي يتم جمعها من شواطئ برشلونة مثلاً 60٪ منها مكونة من بقايا السّجائر وعلب السّجائر الفارغة.

- صحيح أن إسبانيا هي إحدى زبائننا المفضلين.

- وأخيراً لو سمحتم: هل تهابون الإرهاب؟

- الإرهاب ضد الأفراد أو ضد الشركات ككل؟

- الاثنان.

- قبل أن تصل إلى هنا أعتقد أنك رأيت بنفسك قدرة رجال الأمن الذين يسهرون على حراستي، أما بالنسبة للتهجم على موادنا فلم أسمع بها إلا في القصص، إذ قام أحد الكتاب المريضين باستفزازنا في المرحلة الأخيرة من كتابه، إنه سوف يدخل في تركيبة السّجائر كمية قاتلة من مادة السيانيد، فقمنا بشراء كل ما طبع من هذا الكتاب وعملنا على عدم طبعه من جديد، هيا بنا إلى طاولة الطعام أيها الجلاد.

- قام آدباتريس يأخذ (غي بوادر) إلى غرفة الأكل، فشاهد عند دخوله لوحة كتب عليها: لا ضير من السّجائر، فهي هواية الشرفاء.

- من جديد أسألك عن مصدر هذه الحقيقة.

- بلا شك أحد المدخّنين، لا أنت ولا أنا.

- موليير أيها السيد، في (دون جوان).

- عرف الصحافي من خلال معرفة آدباتريس لهذه المقولة أنه مطلع على أعمال المجموعة بدقة، فهو باستطاعته الإجابة عن أي سؤال يتعلق بهذه الأعمال، دوبوا يحظى باحترام الجميع كصحافي متمكن، الجريدة التي يعمل بها من أحسن الجرائد المتخصصة في الاقتصاد؛ فماذا يريد هذا الصحفي منا؟

- أنت وأنا نعتني بصحتنا؛ لذا سنأكل طعاماً خفيفاً.

- قدم الطباخ في رمشة عين وطرح علينا (المونو) أي تشكيلة الأكل: ريش خروف، محشي بالفرن، مصحوب بشرائح من البطاطس وسلطة خضراء، وفي الأخير آيس كريم معطر بمادة الإكليل.

- مع الخروف أفضل تناول شاطو مرغو، وبصفة خاصة ذلك المصنع سنة 1982م سوف ترغبه بلاشك!

بدأ آدباتريس يحاضر حول مهنة المتذوق للشراب ومهنة المصنّعين له في ميدوق، زود دوبوا بوصف دقيق للدالية والأرض التي تنبت فيها وما تحتاجه من أمطار، ثم

تطرق فيما بعد إلى خبرته في التذوق، تناول دوبوا الكأس بطريقة تدل على أنه متمكن في التذوق أيضاً، ولإثبات ذلك أخذ يحرك ويقلب كأس النبيذ قبل احتسائه والتأمل في لونه، وشم رائحته وتحريكه ثم تذوقه دمعة دمعة كما يقولون وشمه من جديد ولعدة مرات وبلعه تدريجياً وعيناه مغلقتان، وأصبح دوبوا كأنه في عالم آخر: فهو يتفحص هذا الشراب المنتج سنة 1982 في داخل البحر برفقة صاحب أكبر شركة منتجة للتبغ في العالم، رجل وصف بأنه رجل السنة.. وجد دوبوا ضالته، شريكه في التذوق، حتى رائحة حطب السدر استهوتهما، مظهر الحطب وبعض الزهور جذبهما أكثر فأكثر، توقف دوبوا عن إمطاره بالأسئلة؛ لأن النبيذ كاد أن يخدره دون أدنى شك، فبادر جليسه قائلاً:

- لاشك أنك تفكر في شراء قصر يتربع على مزرعة كروم.

- لا.. لا، برومورتيم لا يستثمر إلا في المنتجات الموجهة للشعب التي من اختصاصه، ونحن نتفنن في توفيرها، أما القصر فهو كالراقصة يمكن يوماً من الأيام اقتناؤه للتسلية فقط، أحد المستثمرين الكبار لدينا يملك العديد من القصور، أختار ما يعجبني منها سنوياً للاستجمام مدة قصيرة، أجد في ذلك متعة وراحة، أما العيش فيه بصفة دائمة فهذا من نصيب نخبة قليلة، لكن بالنسبة لي، فهو يستهويني للراحة فقط.

- توج هذا الغداء بقهوة كالعادة.

- طبعاً سوف تزودني بنسخة من هذا التحقيق قبل نشره، أريد أن أجري عليه بعض التعديلات وإضافة بعض التوضيحات ربما بعض المفاجآت أيضاً.

- ليس من عادتنا فعل ذلك.

- لكنها من عاداتي أنا، وأنت على علم بذلك قبل مجيئك هنا.

- سوف أزودك بنسخة.

- نسخة أصلية يا سيد دوبوا.

- بعد هذا استأذن بأدب واحترام ورجع من حيث قدم مرتاح البال لعودته سليماً آمناً، كان ينتظر التقرير الذي قام جوركا بإعداده، وهو عبارة عن تحذير لكل من يتجرأ على إجراء هذا النوع من التحقيق؛ فالمقابلة مصورة والغداء أيضاً، جاءت نسخة من التحقيق عن طريق الإنترنت بعد ثلاثة أيام، كان العنوان هو المفاجأة الأولى: الحقيقة تضر كثيراً بصحة بروموريتيم أنا أتهم.

تحول دوبوا من الكاتب الكبير إلى دوبوا زولا، لقد دوَّن كل ما قيل له وقام بتصحيح الأخطاء، وأضاف ما تم نسيانه أو المبالغة فيه، فكان يكمله بعناوين حقيقية لا يتجرأ أحد من المجموعة على تزويده بها، تتلخص في الآتي: صناعة الإجرام المنظم وتبييض الأموال، والتهرب الضريبي، والنهب الاقتصادي بالعالم الثالث، إفريقيا أصبحت عبارة عن طفاية سجائر، والرشوة، والتلوث البيئي، بالإضافة إلى ذلك قام دوبوا بالتنديد بعدم معاقبتهم جنائياً على الأضرار التي تحدثها السّجائر على الشباب والشابات وعلى انتهاكهم لحقوق الإنسان، وعلى التعدي على البيئة وغلق المصانع، ومن ثم تخفيض الوظائف أو إلغاؤها بالكامل، والتستر على عدد المواد المضافة ونوعيتها وضررها ومخاطرها، وتطرق أيضاً إلى ألاعيبهم الدعائية وخداعاتهم، وانتهى التحقيق بخاتمة كهذه: السّجائر سلاح قاتل وغالي الثمن، أدخن اليوم.. وأموت غداً، نهايتي فقر وعذاب. آدباتريس تفاجأ من هذه العبارات اللاذعة والقاتلة، ذلك هو السفاح المزعج.

عند قراءة المقال قد يقوم كل مستثمر عاقل بالعدول عن المطالبة بفوائده ومطالبة الشركة بالتعامل مع الزبائن بإنسانية أكثر، لو عرف المستثمرون ذلك من قبل ربما انتحروا من شدة التأثر، لكن آدباتريس يعرف أن المستثمرين يتسمون بالحكمة، ويعرف أيضاً أن أصحاب القرار سوف لا يشكرونه على عمله؛ لذا سوف يرفض هذا النص.

إنه يعرف أن كل ما كتب صحيح، كان بإمكانه التلاعب بأرقام الضحايا وظاهرة التسمم، لكنه يعرف بموجب خبرته أن ذلك سوف لا يجدي ولا ينفع، والخطير في كل هذا أن الجريدة صاحبة التحقيق لا تخضع لأي تهديد كان؛ لذا عزم آدباتريس على عدم مهاجمتها، معبراً بذلك عن حقده تجاه هذا الصحافي المتغطرس السفاح. طلب التحريات أكثر فأكثر عن هذا الصحفي العنيد والغاية من ذلك الحذر والتحضير لانتقام بسيط.

# الفصل 20

رجعت فلورانس وزوجها من السفر لقضاء شهر العسل بعد خمسة عشر يوماً، كانت شديدة التردد بعد عودتهما، وبعد شهر أعلنت لزوجها المندهش أنه سيصبح أباً عن قريب، في 20 مارس القادم إن شاء الله، يمكن إحداث بعض التغييرات في البيت بهذه المناسبة السعيدة، اغتنمت فلورانس هذه الفرصة لتذكّر زوجها أن التّدخين سيضر بصحتها وصحة الجنين، وتذكره في الوقت نفسه بوعده إيقاف التّدخين، وكانت فرصة سانحة لتذكيره أيضاً بواسطة إحدى حكايات لافونتين، إذ قامت إحدى جمعيات مكافحة التّدخين بتعديلها على الشكل الآتي:

الزير والنملة:

قام الزير بالتّدخين كل الصيف.

لكنه تفاجأ بحاجته لذلك عندما نفد المخزون من السجائر. لا يوجد حتى جزء بسيط منها ولا حتى من فضلاتها، فذهب الزير للبحث عن النيكوتين لدى جارته النملة، طالباً منها إعارته شيئاً من النبات يسد به جوعه حتى الفصل الجديد.

- سوف أقوم بتسديد ذلك قبل الوقت، بكل أمانة وصدق، قال لها الزير:

- من المعروف أن النملة لا تدخن، ولا أجد في ذلك عيباً.

- ماذا كنت تفعل في الأيام الحارة؟ مخاطباً السائل.

- كنت ليل نهار وفي كل وقت أدخن، وهذا لا يعجبك طبعاً.

- كنت تدخن! لذا تمتع بالسعال الآن، أما أنا فمرتاحة.

أنصت الزوج إلى هذه القصة المعدلة بأدب وإعجاب، لكنه شرح لها كم أصبحت السّجائر جزءاً لا يتجزأ من حياته، أصبحت تسيطر عليه لدرجة أنه أصبح عبدها، شرح لها أيضاً أن التّدخين أصبح ضرورياً لأداء عمله كما يجب، وأصبح عادة من عاداته اليومية، بكل هدوء كالمعتاد أصغت فلورانس إلى مبرراته وفندتها الواحدة تلو الأخرى، لقد وعدها ولا بد أن ينفذ وعده، قامت أيضاً بتذكيره أن والده استوعب الدرس بعد ستة وعشرين عاماً متذكراً ما عاناه من ألم وسعال وضعف جنسي إلى آخره، سنوات طويلة من المعاناة وتقييد الحرية وتبذير المال والمظهر السيئ أمام الآخرين، بالإضافة إلى إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين، تغير كل شيء اليوم، فوسائل الإعلام مسلطة الأنباء كلها على هذه الظاهرة السيئة، وتجربة أبيك في هذا المجال تكفيك وتساعدك على تنفيذ وعدك فوراً إذا أردت.

- ثم قالت بكل ثقة: لا أريد منك وعداً مستقبلياً، مقتدياً بمن قال: «ابحث عن نصيبك في قلة الترتيب الذي تعاني منه».

- ثم تابعت.

- (فرويد) هو الذي قال هذا، لعلمك أن الشركة التي تعمل فيها يمكنها مساعدتك في التخلص من الإدمان على السّجائر ومتابعة علاجك لمدة سنة، لقد أشعرك والدك بذلك وأفهمك كم هو مدين للشركة لمساعدته على التوقف، وأنه لا يندم على قراره وكم هو سعيد بذلك، أتراه كم هو سعيد بحياته الجديدة، أتسمعني، ماذا تنتظر؟ فأنا لا أريد أن يأتي المولود الجديد ويرى أباه يدخن، لا أريد أن يرى ذلك أبداً، اليوم وأنا أتصفح الدليل العام وجدت جمعية لمساعدة المدخّنين، أنا متأكدة أنها قد تعجبك، عنوانها كما يأتي:

مدخنون - الدخان - المداخن - الجنازة وما يلزمها.

- طيب سوف أتخذ قراري وبجدّ.

- بين لي أنك تقدر وتعي توسلاتي، فهي فعلاً توسلات!

يمكن البدء بتناول سجائر لايت؛ لأنها خفيفة لكنها تبقى مضرة، أو يمكنك أن تستبدل بها ماركة أخرى تحتوي على كمية أقل من النيكوتين ومحاولة تدخين نصف ما كنت تدخنه من قبل، أنا لا أريد إلا مساعدتك لتخطي المرحلة الأولى من هذه التجربة القاسية، من أجل ولدنا ومن أجلك ومن أجلي، بل من أجلنا كلنا.

بما أنه عرف الآن أن إحدى المكونات للسجائر هو الأمونيا الذي يبيعه لهم اقتنع بمضرة السّجائر حتى الخفيفة منها.

حتى لا تتمادى فلورانس في توسلاتها قال لها:

- أعدك أنه ابتداءً من اليوم فصاعداً سوف أكتفي بعلبة واحدة.

- إذن كنت تدخن أكثر من علبة؟

- نعم كنت أدخن أكثر من علبة، وسوف أدخن في المستقبل أقل من ثلثي السيجارة ثم أرميها، حاولي مساعدتي لأنني؛ سأكون متوتراً هذه الأيام.

- هل أعتمد عليك في ذلك؟

- يمكنك، ابتداءً من اليوم، سوف أخبرك بنجاحي أو رسوبي في هذا الاختبار الصعب.

- كيف يمكنك الرسوب، وأنت تعرف الغاية؟

- هذه مهمة صعبة ومعقدة، لقد سبق وأن قلت لك: إن مادة النيكوتين تستعبدني، وأنا خائف من التخلص منها بطريقة عنيفة.

- في آخر سبتمبر أوضحت الأشعة الصوتية أن المولود القادم بنت، فتمّ اختيار الاسم فوراً.

- اتفقا على تسميتها (أورور) بمعنى (الفجر).

- في 12 أكتوبر 2000م ولأول مرة منذ مدة تسللت رسالة غريبة كالعادة لتعكر جو العائلة، تعرفت فلورانس على الظرف والكتابة، ففتحت الرسالة فوراً وقرأتها:

**(لقد تم الحكم عليك بالموت من)**

**يتبع**

كانت فلورانس على وشك نسيان هذه اللعبة القذرة، آخر رسالة استلماها منذ ثلاث سنوات، حتى نصها لازال عالقاً بذهنها، انتهت إلى أنها لم تكن على علم برسالتين، عندما دخل عليها زوجها بادرته بالسؤال عن الرسالتين.

- لقد أخبرك والدي بذلك، ماذا تريدين أن تفعلي لهذا الأبله؟

- لقد قررنا ألا نزعجك بهذه الألاعيب.

- لقد أخبرتك أنني قادرة على اكتشاف هذا اللغز وحدي.

- بما أنه هناك رسالة تتبع لننتظرها ونرى، إلا إذا كانت لك الرغبة في اكتشاف الحقيقة دون معرفة ما سيتبع.

- هذا هراء.

رجعت فلورانس من جديد تسأله عن التّدخين، وهل بدأ يخفض الكمية كما وعد، صدّقت ما قاله لها؛ لأنه يطبق ما قاله عندما يكون معها، ولكنها تلاحظ أن مزاجه يتغير في أثناء ذلك.

قررت أم الزوج وأم فلورانس أن يذهب الزوجان إلى البندقية للتمتع بإجازة قبل قدوم المولود الجديد، كانت السماء تكتسي بحلة رمادية، وكأنها تبشر بقرب نزول المطر، بالرغم من ذلك كان للغروب الجميل رأي آخر؛ فالشمس وهي تودعك تستهويك لمشاهدة منظر نادر لا مثيل له، كله دفء وحنان، في جو مثل هذا لجأ

القليل من الزوار إلى التمتع بفن هذه المدينة الساحرة والفريدة من نوعها، أما فلورانس وزوجها فركبا زورقاً، وكأنهما من عشاق التايتنك. تلك هي رحلة كل عاشق يلجأ إلى هذه المدينة المغمورة بالمياه التي تحتضنك بدفء، وكأنها تقول: لا خوف من الغرق اليوم.

أوشكت السنة على الرحيل، كان (أنت) ينتظر ذلك بفارغ الصبر؛ لأنه سوف يحتفل بترقيته وزيادة راتبه؛ فهو الوحيد المتميز من بين الخمسة الذين تم توظيفهم.

أخبر فلورانس بهذا الحدث القريب، وكان يسبح في السعادة، وفي الدخان أيضاً.

كان (أنت) يرى أن سنة ألفين كانت سنة (البوردو) ذلك الشراب الفرنسي المتميز، فلا مثيل له للاحتفال بهذه المناسبة، بعد الانتخابات الأمريكية الساخنة اكتشف العالم أنه تم ضرب الصرب بقنابل ذكية، ذكية لكنها مشحونة بمادة اليورانيوم، هذه الكارثة ليست الكارثة الوحيدة في العالم، أنغولا وليبريا مسرح عنف ونهب لا مثيل له، ناهيك عن الجفاف والفيضانات التي اجتاحت العالم، سوف يتذكرها علماء الأرصاد الجوية لمدة طويلة، أما الديك الرومي الذي تشتهر به أمريكا فلم يصب بمرض جنون البقر بعد، ولكنه لا يزال غنياً بمادة الديوكسين، في كل سنة يقوم رجال الإعلام بسرد كل الأحداث المهمة لتذكير من يعلم ومن لا يعلم. عرض (أنت) على (فلورانس) مراجعة علاقاتهم الغرامية منذ بدايتها حتى اليوم.

مثل ما يطلب منه بالشركة التي يعمل بها، فمن المفروض أن يقوم هو وزوجته بإجراء موازنة لمقارنة ما تم تحقيقه وما هو مطلوب.

تفاجأت (فلورانس) من طلبه، ولكنها وافقت، يبقى الحوار والمناقشة أحسن وسيلة للتفاهم.

بقي يوم واحد على قدوم (أورور) فكان ذلك في يوم 21 مارس 2001م، يا لها من بنت جميلة! طولها 52 سم ووزنها 3.4 كلغ، كانت مضطربة النوم ليلاً ووالدها

أيضاً، كان الأب يدخن، كي لا ينام لتستريح زوجته، وكان ذلك يتعبه جداً، وكان من الصعب عليه استعادة قواه.

كان ينتظر المشاركة في دورة بأمريكا في فبراير 2002م تمكنه من ترقية أخرى بالشركة، الشركة تثق في كفاءته وهو يثق في ترقيتها له، شركات التبغ التي تتعامل معه أيضاً تثق فيه، ولمكافأته طلبت منه إحدى الشركات تزويدها بعدد من المواد الإضافية منها مادة الإيزوبوتيل ومادة الفورمول ومادة الغواياكول ومادة البيريدين ومادة الديهدور ومادة المنتيلتيانو، ومادة البيريمدين، تشكل هذه الطلبية وحدها 43٪ من مبيعاته فهذه فرصة العمر، ولكن يا لها من مواد سامة!

بينما كان يحلم بهذا الرقم القياسي وهذه المبيعات الهائلة، تذكر شيئاً مهماً، تذكر أن إحدى شركات السّجائر الكبرى تعتزم الإغلاق؛ لتنتقل إلى إحدى الدول المنافسة في أسعار اليد العاملة الرخيصة التي تتسم قوانينها بالمرونة.

أصيب (أنت) بسعال حاد من جراء هذه الصدمة المفاجئة، فذهب للطبيب فوصف له مشروباً مصنوعاً من الغواياكول المذكورة أعلاه، وهو مادة مهيجة ومهدئة للسعال، فهي من المواد المصنعة في الشركة التي يعمل بها.